عمر "محمد فؤاد" أبو الرُّب

الوعد القريب

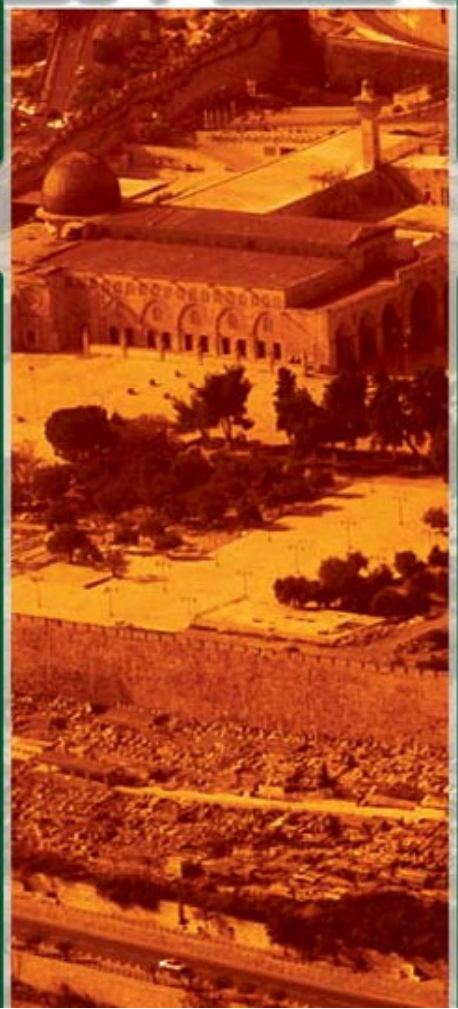

زوال الكيان التاسع لبني إسرائيل
كما زالت كياناته السابقة.

عالم الكتب

الوعد القريب

50 عاما

..... انهيار إسرائيل ضمن النظرة إلى التاريخ هو حتمي. فإسرائيل تعيش في محيط معادٍ، وهذا المحيط المعادي يزداد قوة في الذكاء والانضباط والإرادة والمقدرة، وهي (إسرائيل) تزداد ضعفا على ضعف في المهارة والانضباط والإرادة. وحلفاؤها (حلفاء إسرائيل) مشغولون بمشاكل اقتصادية وعالمية ستجبرهم عاجلا أو آجلا إلى عدم التدخل. وضمن النظرة إلى التاريخ فإن احتمالية زوال مثل هذه الدولة (إسرائيل) مرتفعة جدا.

ومع وضوح ما سبق فإن إسرائيل لا تزال تتصرف بحماقة كبيرة وكأنها لم تقم أبدا بقراءة التاريخ.

وهذا ما يجعل زوال هذه الدولة ليس محتملا وإنما هو أمر حتمي .....

www.alamalkotob.com

عمر "محمد فؤاد" أبو الرُّب

الوعد القريب

زوال الكيان التاسع لبني إسرائيل كما زالت وبادت كياناته السابقة

عالم الكتب للنشر والتوزيع
ش. جواد حسني – القاهرة
تلفون: ٢٣٩٢٤٦٢٦/٢٠٢+
www.alamalkotob.com

محتويات الكتاب

٧ ..... **المقدمة**

٩ ..... **الفصل الاول - أمانة وفضل**

١٣ ..... **الفصل الثاني - المرة الأولى كانت خيبر**

١٤ .....◄ عباد وعباد اللَّه وعباد لله

١٥ .....◄ ولتعلن علوا كبيرا

٢٠ .....◄ فإذا جاء وعد أولاهما

٢٢ .....◄ بعثنا عليكم

٢٣ .....◄ وكان وعدا مفعولا

٢٣ .....◄ ثم رددنا لكم الكرة عليهم

٢٤ .....◄ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها

٢٤ .....◄ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة

٢٥ .....◄ وليتبروا ما علو تتبيرا

٢٥ .....◄ عسى ربكم أن يرحمكم

٢٧ ..... **الفصل الثالث - كيانات بني إسرائيل السابقة**

٢٧ .....◄ الكيان الأول – المملكة الأولى (١٠٢٨ ق.م – ٩٣٣ ق.م)

٢٨ .....◄ الكيان الثاني – مملكة إسرائيل (٩٣٣ ق.م – ٧٢٢ ق.م)

٢٨ .....◄ الكيان الثالث – مملكة يهوذا (٩٣٣ ق.م – ٥٨٦ ق.م)

٢٩ .....◄ الكيان الرابع – المملكة الحسمونية (١٦٤ ق.م – ٦٣ ق.م)

٣٠ .....◄ الكيان الخامس – مملكة هيرود (٣٧ ق.م – ٦ ميلادية)

٣٠ .....◄ الكيان السادس - الثورة اليهودية الأولى (٦٦ – ٧٠ ميلادية)

٣١ .....◄ الكيان السابع – الثورة الباركوبية (١٣٢ – ١٣٥ ميلادية)

٣٣ .....◄ الكيان الثامن – خيبر (؟؟؟ - ٦٢٨ ميلادية)

٣٧ ..... **الفصل الرابع- الكيان التاسع لبني إسرائيل (الكيان الحالي)**

٤٥ ..... **الفصل الخامس - السيناريو المحتمل للتحرير**

٥١ ..... **الفصل السادس - احتمالية انهيار المسجد الأقصى**

٦٧ ..... **الفصل السابع - القوة المتعاظمة في العالم الإسلامي وزمن التحرير**

٧٥ ..... **الفصل الثامن - اليهود والذكاء الجماعي**
٨٥ ..... **الفصل التاسع - اليهود والماسونية**
٩٣ ..... **الفصل العاشر - اللوبي اليهودي وأمريكا**
١٠٩ ..... **الفصل الحادي عشر - اليهود والحماية السماوية وانتهاؤها**
١٢١ ..... **الفصل الثاني عشر - المسجد الأقصى وهيكل سليمان**
١٢٢ .....◄ المسجد الأقصى
١٢٢ .....◄ متى تم بناء المسجد الأقصى
١٢٥ .....◄ المسجد الأقصى والإسراء
١٢٦ .....◄ الصخرة والمعراج
١٢٨ .....◄ طبوغرافية المسجد الأقصى
١٢٩ .....◄ النظريات الثلاثة لمكان الهيكل
١٣٠ .....◄ أعجوبة الصخرة وفرادتها
١٣١ .....◄ قصة المسجد الأقصى
١٣٩ ..... **الفصل الثالث عشر- القوة الإسلامية الصاعدة والشرعية الدولية**
١٤٣ ..... **الخاتمة**
١٤٤ ..... **المراجع**
١٤٤ .....◄ مؤلفات عربية
١٤٤ .....◄ برامج بحث
١٤٥ .....◄ مراجع إنترنت
١٤٨ .....◄ مؤلفات سابقة للمؤلف

المقدمة

هذا البحث هو امتداد للرأي الذي وضعه محمد متولي الشعراوي في تفسير آية بني إسرائيل، والكتاب الذي وضعه ثابت عبد الحليم الخواجا بعنوان "حتمية زوال دولة بني إسرائيل". والبداية جاءت مع الشعراوي عندما قام بتفسير قول الله تعالى: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا" (٥ - الإسراء). وقد فسر الشعراوي وقتها عبارة "عباد لنا" أنها تتطلب أن يكونوا مسلمين. ثم جاء ثابت الخواجا وأسهب في هذا الموضوع في كتابه السابق الذكر. وكانت النتيجة التي توصل إليها ثابت أن المرة الأولى هي خيبر بين اليهود والمسلمين، والمرة الثانية هي ما يحدث الآن في فلسطين.

ولكن جاءت الانتقادات في هذا التفسير أن "عبادا لنا" ليس بالضرورة أن يكونوا مسلمين واستشهدوا بعبارة "عبادك" في قول عيسى عليه السلام في القرآن: "إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (١١٨ - المائدة)، وعبارة "عبادي" في قول الله تعالى: "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ" (١٧ - الفرقان).

وقام المؤلف وقتها بعمل بحث صغير يقوم بمناقشة هذا الموضوع، والتفريق بين عبارة عباد وعباد الله وعباد لله. وكذلك قام البحث بالتعمق في الكيانات السابقة لبني إسرائيل وكيفية سقوطها.

وقد تم وضع مسودة البحث في ٢٣-١-١٩٩٨ ولكن لم يتم طباعة أو نشر البحث وقتها. وفي ٢٠١١ تم عمل فصول أخرى وإضافات نوعية للبحث كشرح العلاقة بين اليهود والماسونية، وشرح أسباب النفوذ غير الطبيعي لليهود في

أمريكا، والتنبؤ للسناريو المحتمل لتحرير القدس وذلك ضمن التحليل السياسي للوقائع الحالية، والخط البياني لتصاعد القوة الإسلامية، والخط البياني للضعف الغربي والحماقة الإسرائيلية.

وتوجد هنا الملاحظات التالية:

١- هذا الكتاب يعتمد على صيغ تحديد المسئولية لإبعاد شبهة فرض الفكر ونفي الآخرين. ومثال لهذه الصيغة هو :"ضمن غلبة ظن المؤلف فإن التحليل لكذا هو كذا". والهدف من هذه الصيغة هو التأكيد أن التحليل والفكرة هي ما يقتنع بها المؤلف، والقارئ والآخرين لهم كل الحق في أن يقتنعوا أو لا يقتنعوا بها.

٢- تم وضع الكثير من أسماء الأماكن والأشخاص في الكتاب باللغة العربية واللغة الإنجليزية وذلك لتسهيل الأمر على القارئ إذا أراد الرجوع إلى الإنترنت والتحقق والاستزادة من المعلومات.

عمر محمد

21 نوفمبر ٢٠١١

omr.mhmd@ymail.com
omr-mhmd.yolasite.com

الفصل الاول - أمانة وفضل

هذا الكتاب مبني على كتاب "حتمية زوال دولة بني إسرائيل" لثابت عبد الحليم الخواجا. ومن مقتضيات الأمانة وذِكر الفضل لصاحبه وضع النقاط التي أخذها المؤلف من ثابت الخواجا. وفي واقع الحال فإن وضع النقاط هنا سيكون أسهل للمؤلف من تحديدها واحدة واحدة في الفصول القادمة.

قال الله تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسرائيل فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا" (٨ - الاسراء)

والبداية كانت مع الشعراوي في رأيه أن عبارة "عبادا لنا" تعني مسلمين.

وأسهب ثابت الخواجا في هذا الموضوع وكان رأيه أن المرة الأولى هي خيبر، وأن المرة الثانية هي ما يحدث الآن في فلسطين. وتضمن كتابه نقاطا كثيرة مؤيدة لهذا الرأي. والنقاط التي سيعتمد عليها هذا الكتاب هي التالي:

نبه ثابت أن هناك قراءة أخرى لقول الله تعالى "فِي الْكِتَابِ " وهي "في الكُتب"، ونبه ثابت أن هناك اختلافات في تحديد معنى "الكتاب"، ونبه أن أحد المعاني للكتاب هو اللوح المحفوظ.

معظم السابقين قد فسروا عبارة "الأرض" أنها بلاد الشام، ولكن ثابت نبه أن الأرض لا تعني بالضرورة بلاد الشام. وهذا الرأي صحيح؛ لأن الأرض في كثير من الآيات جاءت على عمومها بالضبط كعبارة السماء جاءت على عمومها.

نبه ثابت أن العلو معناه التكبر والطغيان.

قام ثابت بالتوضيح وبشكل رائع أن عبارة "إذا جاء" هي للمستقبل وليست للماضي. وقد بين ثابت أن "إذ" تفيد الماضي، وأن "إذا" تفيد المستقبل. وقد استخدم ثابت أسلوب شرح القرآن بالقرآن. وهذا الأسلوب يتضمن أخذ العبارة الموضوعة تحت الدراسة والنظر في القرآن للعبارات المشابهة لها والانتباه إذا كان هناك نمط مشترك. وهذا ما فعله ثابت، فقد أحضر شواهد كثيرة من القرآن تفيد بأنَّ "إذا جاء" هي للمستقبل. وهذا الأسلوب قد انتبه له المؤلف أول مرة من كتاب ثابت.

استخدم ثابت نفس الأسلوب (شرح القرآن بالقرآن) لتبيان أن عبارة "بعثنا عليكم" تتطلب أن يكون ما فعله هؤلاء العباد إنما جاء بأوامر الله ووحيه. وأحضر ثابت الأمثلة من القرآن لهذا الرأي.

شرح ثابت وبشكل رائع المعاني الموجودة في عبارة " فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا " وربط هذه المعاني بما فعله المسلمون في خيبر.

نبه ثابت في معرض تفسيره لقول الله تعالى: " ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ " أن اليهود في تاريخهم لم تسنح لهم الفرصة أبدا في أن تعود لهم الكرة على عدوهم إلا المسلمين. بمعنى أن الآشوريين قد دمروا دولة إسرائيل، ولم تأت الفرصة لليهود لإعادة الكرة عليهم. وأما الآشوريون فقد انتهوا وذابوا في الحضارات التالية. وكذلك الكلدانيون فإن اليهود لم تأت لهم الفرصة للكرة عليهم، وأما الكنعانيون فقد ذابوا في الحضارات التالية. وكذلك الرومان فإن

اليهود لم تأت لهم الفرصة للكرة عليهم. ولكن الأمة الوحيدة التي انتصرت على اليهود وجاءت لليهود الفرصة للكرة عليهم هم المسلمون؛ فقد انتصر المسلمون على اليهود وطردوهم من الجزيرة العربية، وبعد حوالي ١٤٠٠ سنة استطاع اليهود السيطرة على فلسطين. وهذه النقطة أساسية في شرح هذه الآيات وكان هذا انتباها ذكيا من ثابت.

ربط ثابت قول الله تعالى: " وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا"، وبين واقع إسرائيل الآن، فقد كانت وجهة نظره أن الأموال التي بيد إسرائيل هي ليست من إنجازاتهم ولا من ذاتهم، وإنما جاءت إليهم من الدول الغربية. وكذلك نبه ثابت أن إسرائيل هي الدولة الأولى في العالم في"النفير"، أي أن نسبة الجنود المتفرغين والجنود الاحتياط مقارنة بعدد السكان في إسرائيل هي الأعلى في العالم .

الإضافات:

الإضافات الرئيسية في هذا الكتاب ستكون التالي:

- مناقشة الفرق بين عبارة "عباد الله"، وعبارة "عباد لله".
- مناقشة جميع الآيات القرآنية والتي تضمنت عبارة "إذا جاء".
- إحضار الشواهد القرآنية فيما يتعلق بكلمة العلو.
- التعمق في تاريخ كيانات بني إسرائيل السابقة.
- التعمق في تفسير الآية: " وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ". ووجهة نظر المؤلف أن هذه الآية تكشف عن السيناريو المحتمل للتحرير.
- التعمق في تفسير الآية: "إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ".

- التعمق في تفسير الآية: " عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا"
- شرح العلاقة بين اليهود والعالم الغربي.
- شرح العلاقة بين اليهود والماسونية.
- دراسة موضوع هيكل سليمان.

الفصل الثاني - المرة الأولى كانت خيبر

قال الله تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إسرائيل فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآَخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨ - الاسراء).

كما تم شرحه في في الفصل السابق فإن المؤلف يتبنى الرأي الذي يقول إن المرة الأولى هي خيبر، وإن المرة الثانية هي طغيان بني إسرائيل الآن في فلسطين. وهذا الفصل يتعرض إلى الأدلة والقرائن التي يستند إليها هذا الرأي.

هذا الفصل يتضمن العناوين التالية:

- عباد وعباد الله وعباد لله.
- وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا.
- فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا.
- بعثنا عليكم.
- كَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا.
- ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
- إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا
- وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
- وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا
- عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ

◄ **عباد وعباد اللَّه وعباد لله**

ما المعنى الذي يُفهم من عباد بإضافة لفظة "لنا" إليه. وما هو الفرق بين عبارة "عباد"، و"عبادنا"، و"عباد لنا"؟؟

أو بمعنى آخر: ما الفرق بين "عباد" و"عباد الله" وعباد لله" ؟؟ .

عباد :

كل شخص يقوم بالعبادة تنطبق عليه لفظة عابد بغض النظر عن ديانته، فتنطبق هذه اللفظة على المسلمين وأهل الكتاب والوثنيين ولا تنطبق على الملحدين. قال اللَّه تعالى " يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ " (يس – ٣٠).

وقد ذكرت عباد مفردة في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة .

عباد اللَّه :

كل شخص يعبد اللَّه تنطبق عليه عبارة "عباد الله" بغض النظر كان موحدا أو غير موحد، أو كان مخلصا في عبادته أو غير مخلص، فتنطبق هذه العبارة على المسلمين وأهل الكتاب ولا تنطبق على الوثنيين. قال اللَّه تعالى: "إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (المائدة – ١١٨).

وذكرت كلمة عباد مضافة إلى اللَّه في القرآن الكريم ثلاثا وثمانين مرة وبالأشكال التالية :عباد اللَّه، عباد الرحمن، عباده، عبادك، عبادي، عبادنا.

عباد لله :

هذه العبارة تخصص العبادة لله وحده فلا يمكن أن تنطبق إلا على المسلمين.

وقد ذكرت في القرآن مخصصة العبادة لله مرة واحدة في قوله تعالى: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا" (الإسراء –٣).

وقد ذكرت مخصصة العبادة لغير اللَّه مرة واحدة في قوله تعالى: " مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ " (آل عمران –٧٩).

وقد ذكرت عبارة قريبة من العبارة السابقة في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: "لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا" (النساء – ١٧٢).

وقد ذكرت بصيغة جمع المذكر السالم ثلاث مرات في قوله تعالى:

"صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ" (١٣٨- البقرة) .
"فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ" (٤٧ – المؤمنون).
"وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ" (٧٣ – الأنبياء).

وضمن وجهة نظر المؤلف فإن ما سبق يجعل المعنى من "عباد لنا" أن عبادة هؤلاء الناس هي لله فقط. وهذا يتطلب أن يكون هؤلاء الناس مسلمين.

◄ ولتعلن علوا كبيرا

قال اللَّه تعالى " لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ".

وهناك من يستخدم هذه الآية للتبيان أن اليهود الآن هم الذين يحكمون الأرض، وأنهم هم الذين يحكمون الإعلام، وأن الأموال في العالم بين أيديهم. وهؤلاء الناس يفسرون عبارة "ولتعلن علوا كبيرا" أنها تعني السيطرة والتمكن.

ولكلمة العلو معنيان رئيسيان في اللغة العربية: أولهما السيطرة والتمكن، والثاني التكبر والتعالي، والذي يغلب على ظن المؤلف أن العلو في الآية السابقة هي للتكبر والتعالي وليس للسيطرة والتمكن؛ وذلك لأن كلمة "علو" وأشباهها ذكرت في القرآن الكريم (بالإضافة إلى الآية السابقة) ٩ مرات ويُقصد بها التكبر والطغيان:

" وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا " (١٤ – النمل).
"تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ " (٨٣ - القصص).
" أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ " (٣١ – النمل).
" وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آَتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ " (١٩ – الدخان).
" إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا "(٤ - القصص).
" وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ " (٨٣ – يونس).
" مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ " (٣١ – الدخان).
" إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ " (٤٦ – المؤمنون).
" قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ "(٧٥ – ص).

وذكرت مرتين ويقصد بها السيطرة والتمكن:
"وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (١٣٩ - آل عمران).

"فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ" (٣٥ – محمد).

وذكرت مرة واحدة وتعني الصعود:
"وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا" (٧ – الاسراء).

وذكرت مرة واحدة وتعني التنزيه:
"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا" (٤٣ – الاسراء).

والسؤال الآن: هل الآية " وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا " تعني السيطرة والتمكن أم تعني التكبر والتعالي؟؟؟

وضمن الملاحظة فإن "علو" تم استخدامها في الوصف السلبي لتعني التكبر والتعالي، وهذا هو الذي يغلب على ظن المؤلف فيما يتعلق بالآية هنا.

ومن ناحية أخرى، فقد وجدنا الأخبار الكثيرة عن الأمم الضخمة التي حكمت الأرض كمملكة الفرس وإمبراطورية الإسكندر والرومان والخلافة الإسلامية والمغول والإنجليز والأمريكان، ولم يصل اليهود في الماضي أو الحاضر إلى جزء من عظمة هذه الأمم، ولا أتوقع أن يكون لهم التمكن في المستقبل لقول الله تعالى: "لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ" (١١٢ – آل عمران).

وقوله تعالى: "لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ" (١٤ – الحشر).

ولا يظن المؤلف أن أمة تكون قلوبها شتى وأنهم لا يعقلون سيكون لهم التمكن والسيطرة في أي يوم من الأيام.

وأما تمكنهم في فلسطين فأمر فيه نظر، والحق فإن تقاعسنا هو السبب الأكبر لسيطرتهم وليست عظمتهم هي السبب لعزتهم، ومن الجهة الأخرى فإن عزة اليهود ليست من ذاتهم ولا بسبب قوة خاصة بهم وإنما لرعاية الدول الكبرى لهم .

ولقد أقام الرومان دولتهم بأيديهم وبقوتهم الخاصة وفتحوا عالم البحر الأبيض بجهدهم وعبقريتهم، وكذلك فقد أقام الإنجليز دولتهم بأنفسهم وقوة ذاتهم وكذلك الفرنسيون والأمريكيون والمسلمون والمغول، ولم يعتمد هؤلاء على غيرهم وإنما بقوتهم وذاتهم دانت لهم الأرض، وأما دولة اليهود الحالية فهي لم تقم من ذات اليهود وإنما أقامها لهم غيرهم. وتمكنهم لم يأت من ذاتهم، وإنما لرعاية الدول الكبرى لهم.

وقد قال الله تعالى: " إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ" فأما حبل من الله فقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي جاء بعده نبي، فكانت هذه الرعاية من الله هي التي منعت عنهم الذلة. وأما وقد انتهى عهد الأنبياء فإن الذي يمنع الذلة عن اليهود الآن هو رعاية الدول الكبرى لهم .

ويقال إن الإنجليز حكموا الهند بشركة تجارية، وحكموا الصين بخمسة وعشرين ألف جندي، ويقال إن الإسكندر المقدوني حكم الأرض من اليونان إلى الهند بخمسين ألف جندي، ويقال إن المغول تمكنوا وخلال فترة ستين عاما

أن يحكموا نصف العالم القديم، ويقال إن إمبراطورية اليابان عمرها ثلاثة آلاف سنة، وإن عائلة واحدة متسلسلة هي التي تحكمهم منذ بداية إمبراطوريتهم وحتى الآن. ولكن فلسطين تمثل جزءا صغيرا جدا من جغرافية العالم، ومع هذا فإن اليهود لا يكادون يستطيعون أن يحكموا أنفسهم، فأمورهم بينهم في شقاق وكل فرقة منهم تلعن أختها، وليس هذا الشقاق بسبب خلافات في وجهات النظر بل هو تناقضات في المفاهيم والفلسفات والأفكار والمشاعر. والأمر الوحيد الذي يوحدهم هو خوفهم من عدوهم.

إن الآية القرآنية كانت في غاية الدقة في التعبير ("حبل من الناس") فأنت لا تستطيع أن تجمع الأقطاب المتنافرة في مكان واحد إلا بربطها بحبل، وكذلك اليهود ما كان بالإمكان جمعهم في مكان واحد ونظام واحد إلا بحبل يربطهم، وهذا الحبل هو رعاية الدول الكبرى لهم والسهر على أمنهم وغض الطرف عن وقاحتهم وحماقتهم، وهذا ليس حبا لبني إسرائيل وإنما لحاجة الدول الكبرى لقاعدة أمامية في الشرق الأوسط تحمي مصالحهم.

إن هذا كله يزيد في غلبة ظن المؤلف أن العلو في آية بني إسرائيل هو للتكبر والتعالي وليست للتمكن والسيطرة.

ونظرة إلى تاريخ اليهود من أول أمرهم وحتى الآن، فإن أكثر فساد أفسدوه وأكثر تكبر أظهروه هو ما فعلوه مع الرسول عليه السلام، فقد شد اليهود رحالهم ودخلوا الصحراء حتى وجدوا الأرض التي يبحثون عنها، الأرض التي سيبعث الله فيها النبي الأمي الذي بشر به موسى عليه السلام، فاستقروا فيها حتى جاءهم الرسول عليه السلام فكذبوه وحاولوا اغتياله وقاتلوه، ورسول الله ليس كباقي الرسل، فهو خاتم الرسل ورسالته خاتمة الرسالات وبعثته لكل الأمم وقد بشر به

كل الأنبياء، فلا يظن المؤلف أن هناك فسادا أشد من هذا الفساد، أو تعاليا أكبر من هذا التعالي، أو علوا أكبر من هذا العلو .

◄ **فإذا جاء وعد أولاهما**

"إذا" هنا هي إذا الظرفية وهي ظرف للزمان المستقبل مبني على السكون يتضمن معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية ويكون الفعل بعدها ماضيا غالبا أو مضارعا. وشرطية بمعنى أنها تربط حادثة بحادثة أخرى.

وفي القرآن ٣٩ آية تحتوي على "إذا جاء":

منها عشر آيات تفيد الإخبار عن المستقبل على وزن "إذا جاء هذا حدث هذا"، وعلى وزن "إذا جاء هذا يحدث هذا". مثال ذلك:
قوله تعالى: "قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" (٩٨ – الكهف).
وقوله تعالى: "وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إسرائيل اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا" (١٠٤ – الاسراء).
وقوله تعالى: "فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى" (٣٥ – النازعات).

وخمس آيات جاءت إرشادية على وزن "إذا حدث هذا فافعل هذا". مثال ذلك:
قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ" (١٠ – الممتحنة).
وقوله تعالى: " فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ" (٢٧ – المؤمنون).

وأربع عشرة آية جاءت لتضع علاقة عامة بين الأحداث لا تتعلق بالزمن. مثال ذلك:

قوله تعالى: "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ" (٣٤ – الأعراف).

وقوله تعالى: " حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ " (٦١ – الأنعام).

وثماني آيات جاءت لتضع علاقة عامة ولكن لها سابقة ظاهرة في الماضي. مثال ذلك:

قوله تعالى: "وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ" (النساء – ٨٣).

وقوله تعالى: "حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (٢٥ – الأنعام).

وهناك آية واحدة جاءت تشرح قصة من الماضي على وزن "عندما حدث هذا حدث ذلك"، وهي قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ" (٤٠ – هود).

وتبقى الآية والتي هي تحت الدراسة وهي قول الله تعالى: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ". وبالطبع فإن هذه الآية ليست إرشادية ولا تضع علاقة عامة وإنما هي خبر. وهذا الخبر إما أنه يتحدث عن المستقبل وقت نزول الآية أو يتحدث عن الماضي. وضمن التحليل السابق فإن النمط الغالب الذي استخدمه القرآن في الإخبار في عبارة "إذا جاء" أنها للمستقبل. وهذا يُرَجِّح أن الفساد الأول سيكون بعد نزول الآية. وإذا انتبه القارئ فإن هذه الآية مكية.

◄ بعثنا عليكم

هل عبارة "بعثنا عليكم" تعني أن الله قد وجه هؤلاء العباد بأمر ووحي منه أم هو قضاء وقدر من الله ؟ إن قيام بختنصر بمحاصرة القدس إنما كان قضاء من الله لأن بختنصر وثني في حين قيام الرسول عليه السلام بفتح خيبر إنما كان بوحي من الله.

لقد تم ذِكْر "بَعَثْنا" وأشباهها في القرآن مرات كثيرة وفي معظمها فإن البعث كان فيها بوحي من الله وليس قضاء منه .

مثال ذلك:

"وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا" (٢٤٧ - البقرة).
"وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا (٣٦ - البقرة).
" ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ " (١٠٣ - الأعراف).

والآية الوحيدة التي يغلب على تخمين المؤلف أنها لا تتعلق بوحي من الله وإنما بقضاء الله هي قوله تعالى: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ" (١٦٧ - الأعراف).

وعليه فإن غلبة الظن أن كلمة "بعثنا" في آية بني إسرائيل تتعلق بوحي من الله وأمره وذلك لأن معظم الآيات التي حوت كلمة "بعثنا" و"نبعث" و"بعث" و"يبعث" كانت تعبر عن أمر من الله ووحيه وليس عن قضاء من الله تعالى.

◄ **وكان وعدا مفعولا**

تفسير الزمخشري في كتاب الكشاف وتفسير النسفي قالوا في هذه الآية "وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل"، في حين فسرها الطبري في جامع البيان "وكان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعدا من الله مفعولا لا محالة لأنه لا يخلف الميعاد" .

وهنا توجد ملاحظة:

في الوعد الأول قال الله تعالى: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ" وهي على وزن: "إذا جاء هذا حدث ذلك". ولكن في الوعد الثاني فإن الآية هي: " فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآَخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ" وهي على وزن: إذا جاء هذا يحدث ذلك". فما الفرق؟

كما تم نقاشه فإن الوعد الأول سيكون في المستقبل (أي بعد نزول الآية). وهذه ليست المرة الأولى التي يقوم فيها القرآن بالحديث عن المستقبل بصيغة الماضي. ولكن وجود قصتين في خبر واحد كلاهما عن المستقبل ويتم سرد القصة الأولى بصيغة الماضي والقصة الثانية بصيغة المستقبل يدل على أن القصة الأولى ستحدث قريبا. وهذا الذي تم فقد تم غزو اليهود في خيبر بعد سنوات قلائل من نزول هذه الآية.

◄ **ثم رددنا لكم الكرة عليهم**

من هي هذه الأُمَّة التي تغلبت على اليهود ثم رد الله الكرة لليهود عليهم؟

إن النظرة إلى التاريخ تبين وجود ثمانية كيانات سياسية سابقة لبني إسرائيل وأن الكيان الحالي هو الكيان التاسع، وأن الأمة الوحيدة التي تغلبت على بني

إسرائيل ثم جاءت الفرصة لبني إسرائيل أن ينتصروا عليهم هم المسلمون فقط . وهو موضوع سيتم تفصيله في فصل لاحق.

◄ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**

إن معنى الآية واضح، إذ يقول الله تعالى لبني إسرائيل إن إحسانكم إنما سيكون إحسانا لكم وإساءتكم إنما ستكون إساءة عليكم. وقد كانت إساءة بني إسرائيل للمسلمين في فلسطين شديدة، ومن الطبيعي التوقع أن رد فعل المسلمين لهذه الإساءات بعد الانتصار سيكون مكافئا.

◄ **وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة**

كيف كان الدخول الأول للمسجد؟

إن أول دخول للمسلمين إلى المسجد الأقصى كان في عهد عمر بن الخطاب، وأول جواب يتبادر إلى الذهن عن التساؤل السابق هو أن المسلمين قد دخلوا المسجد أول مرة "سِلْماً". ولكن هذا يتعارض مع باقي الآية من قوله تعالى: " لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ " ويتعارض مع قول الرسول عليه السلام: "لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله " رواه مسلم في الفتن.

هذا الموضوع مثير للاهتمام وضمن غلبة تخمين المؤلف فإنه من الممكن من هذه الآية الاستنتاج للكيفية التي سيتم فيها التحرير. وهذا سيتم نقاشه في فصل لاحق في هذا الكتاب.

◄ **وليتبروا ما علو تتبيرا**

التتبير هو التدمير والتكسير. والمعنى من الآية أن المسلمين سيدمرون كل ما يعلونه. ولوضع هذا المعنى في السياق فإنه إذا جاء الوعد الثاني فسيدخل المسلمون المسجد كما دخلوه أول مرة وسيسيئوا وجوه بني إسرائيل وسيدمرون كل ما يعلونه (أي كل ما سيعلوه المسلمون).

الآن... موضوع التتبير لم يكن واضحا أبدا عند المؤلف. وحتى ثابت الخواجا في كتابه لم يضع تفسيرا محددا وإنما أشار إلى أن فلسطين لم تعهد البنايات والعمارات الشاهقة إلا مع سيطرة إسرائيل عليها. وكذلك أشار إلى أنه ربما المقصود هنا هو التدمير المعنوي. وهذا التفسير ليس خاطئا تماما ولكنه لم يكن مُريحا للمؤلف.

ولكن معنى الآية قد ظهر جليا عند المؤلف في عام ٢٠٠٢ عندما بدأت إسرائيل ببناء الجدار العازل. وهذا الجدار بلغ طوله في عام ٢٠٠٦ حوالي ٤٠٠ كم، والمخطط له أن يصل إلى ٧٠٠ كم. ويبلغ ارتفاع الجدار ثمانية أمتار. وهنا هو المعنى (على غلبة ظن المؤلف) في الآية، فكل السياجات والأسوار وأهمها هذا الجدار العازل سيتم نسفه وتدميره ولن يبقى منه أي شيء ولا حتى للذكرى.

◄ **عسى ربكم أن يرحمكم**

بعد أن يسترجع المسلمون فلسطين وبعد تصفية الحسابات مع بني إسرائيل فإن الله سوف يرحم بني إسرائيل.

كيف ؟؟؟

ثم هناك ملاحظة مهمة فقد قال الله تعالى "عسى ربكم" ولم يقل "عسى الله" فما هو الفرق بين العبارتين ؟؟

إن الله هو اسم الخالق الجبار عند المسلمين، في حين أن اسم الله في كتب اليهود هو "يهوه". ولهذا السبب فإنه من الممكن القول إن اليهود لا تعترف بأن اسم الخالق الجبار هو الله.

ولكن كيف تفيد الملاحظة السابقة في تفسير الفرق بين عبارة: عسى الله أن يرحمكم، وعبارة: عسى ربكم أن يرحمكم؟؟

غلبة ظن المؤلف أن الرحمة هنا ليست من المسلمين لليهود وإنما من رب بني إسرائيل إلى بني إسرائيل مباشرة، وهذا يتضمن أن تكون هذه الرحمة متمثلة بنزول عيسى عليه السلام .

إن نزول عيسى عليه السلام سيكون فرصة أخرى لليهود كي يهتدوا. ويؤيد ما سبق قول الله تعالى: " كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" (٢١ – المجادلة). وعيسى عليه السلام قد رفعه الله إلى السماء مغلوبا وليس غالبا، وإذا صح هذا الربط فإنه لا بد من نزول عيسى عليه السلام كي تتحقق كلمة الله.

وقوله تعالى: "وإن عدتم عدنا" فالأرجح أنها مرتبطة بقوله تعالى: "ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢ – آل عمران).

فكأن تفسير الآية هو إن عدتم إلى التعالي والمكابرة عدنا عليكم بالعقاب. ويوحي هذا التهديد أن بعضا من بني إسرائيل سيستمر في عناده، وقد قال الله تعالى "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ" (الأعراف – ١٦٧).

الفصل الثالث - كيانات بني إسرائيل السابقة

لقد قال الله تعالى " ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ". وقد كان التحليل أن الأمة الوحيدة التي انتصرت على بني إسرائيل ثم جاءت الكرة لليهود عليهم هي الأمة الإسلامية. وفي هذا الفصل نتعرض وباختصار للكيانات السابقة لبني إسرائيل لتعزيز التحليل السابق.

◄ **الكيان الأول – المملكة الأولى (١٠٢٨ ق.م – ٩٣٣ ق.م):**

تاه اليهود في سيناء مدة أربعين سنة ثم دخلوا الأرض المباركة واستقروا فيها، ويبدو أن دخولهم إلى هذه الأرض كان تسللا ولم يكن حربا ويبدو كذلك أنهم لم يُنشئوا كيانا سياسيا واحدا وإنما كانوا قرى متفرقة، حيث إن طلبهم لنبيهم أن يبعث لهم ملكا كي يقاتلوا يُرجح أنهم لم يقاتلوا قبل ذلك الوقت ويرجح كذلك عن عدم وجود كيان سياسي لهم .

قال الله تعالى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسرائيل مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ " (٢٤٦ – البقرة).

وعليه فإن أول كيان سياسي لليهود قام على يد الملك طالوت (Saul) وعلى غلبة الظن فإن هذا حدث حوالي ١٠٢٨ ق.م.

واستمر هذا الكيان حتى وفاة سليمان عليه السلام عام ٩٣٣ ق.م وعندها انقسمت المملكة إلى كيانين: مملكة إسرائيل في شمال فلسطين. ومملكة يهوذا في وسط فلسطين.

◄ الكيان الثاني – مملكة إسرائيل (٩٣٣ ق.م – ٧٢٢ ق.م)

بعد وفاة سيدنا سليمان عليه السلام حوالي ٩٣٣ ق.م حدث صراع بين قبائل بني إسرائيل. وقد رفضت القبائل الشمالية (١٠ قبائل من أصل ١٢) مبايعة ابن سليمان على الحكم. وكانت نتيجة الصراع أن انفصلت القبائل الشمالية وأسسوا مملكة لهم في شمال فلسطين سموها مملكة إسرائيل (Kingdom of Israel) وعاصمتها السامرة (مدينة نابلس حاليا).

واستمرت مملكة إسرائيل حوالي ٢١١ سنة وحكمها ١٩ ملكا.

وفي عام ٧٢٢ قام الآشوريون بقيادة سرجون الثاني (Sargon II) بمد سلطانهم إلى فلسطين الشمالية واحتلوا السامرة وقضوا على مملكة إسرائيل.

◄ الكيان الثالث – مملكة يهوذا (٩٣٣ ق.م – ٥٨٦ ق.م)

كما تم تبيانه فإن قبائل بني إسرائيل قد تصارعوا فيما بينهم على الحكم. وكانت نتيجة هذا الصراع أن أسَّسَت عشر قبائل مملكة لهم في شمال فلسطين. وأسست القبيلتان الباقيتان مملكة لهم في وسط فلسطين سموها ملكة يهوذا (Kingdom of Judah) وكانت عاصمتها القدس.

وبعد سقوط مملكة إسرائيل عام ٧٢٢ ق.م فإن الكيان السياسي الوحيد الذي بقى لبني إسرائيل هو مملكة يهوذا. ومن اسم هذه المملكة (يهوذا – Judah) جاءت تسمية يهود (Jews) ويهودية (Judaism).

واستمرت مملكة يهوذا حوالي ٣٤٧ سنة وحكمهم ٢٠ ملكا.

وفي عام ٥٨٦ ق.م قام بختنصر الثاني (Nebuchadnezzar II) ملك الكلدانيين بالاستيلاء على القدس والقضاء على مملكة يهوذا. وقام كذلك بِسَبي سبعين ألفاً من يهود القدس إلى بابل.

◄ الكيان الرابع – المملكة الحسمونية (١٦٤ ق.م – ٦٣ ق.م)

بعد استيلاء بختنصر على القدس بسبعين عاما قام كورش ملك الفرس بضم مملكة الكلدانيين وأخذ العراق والشام وفلسطين وأرجع اليهود إلى فلسطين. وأقام اليهود تحت حكمه ثم تحت حكم الإسكندر المقدوني وخلفائه السلوقيين (Seleucid Empire).

وفي القرن الثاني قبل الميلاد كان هناك نزاع بين السلوقيين في الأناضول والبارثيين في أرمينيا والرومان في اليونان. فاستغل اليهود هذه الفرصة بقيادة سيمون مكابي (Simon Maccabaeus) وانتزعوا استقلال البلاد عام ١٦٤ ق.م وأقيم الكيان الرابع. وتمت تسمية هذا الكيان في الأدبيات التاريخية الحديثة بالمملكة الحسمونية (Hasmonean Kingdom). وقد بلغت هذه الدولة أوجها عام ٧٨ ق.م ووصلت حدودها من الجليل شمالا وحتى سيناء جنوبا وملكوا ما وراء نهر الأردن.

وفي عام ٦٣ ق.م قام القائد الروماني بومبي (Pompey the Great) بضرب السلوقيين الضربة القاضية واحتل عاصمتهم دمشق، وفي هذه الفترة حدث نزاع مرير على العرش في الدولة اليهودية فاستغلها بومبي فرصة واتجه نحو القدس واحتلها بعد حصار ثلاثة أشهر . ويقول المؤرخون إن بومبي لاحظ اليهود لا يعملون يوم السبت فكان ينشط كل سبت بضرب الأسوار حتى تهدمت . وتم ضم فلسطين إلى الجمهورية الرومانية .

◄ **الكيان الخامس – مملكة هيرود (٣٧ ق.م – ٦ ميلادية):**

مع قيام الحرب الأهلية الأولى في الجمهورية الرومانية بين بومبي ويوليوس قيصر والحرب الأهلية الثانية بين الجمهوريين والحكومة الثلاثية والتنافس المرير والذي انتهى بالحرب الأهلية الثالثة بين أنطونيوس وأكتافيوس ولضغط البارثيين والفرس على الحدود الشرقية للرومان فقد ظهرت الفرصة لليهود (وبمباركة من روما) لإقامة مملكة لهم على يد هيرود (Herod the Great) عام ٣٧ ق.م.

وقام هيرود ببناء الهيكل الثاني (هيكل هيرود)، وقد وصل حكمه من الجليل شمالا وحتى سيناء جنوبا.

وكانت علاقة هيرود مع روما متميزة وكان هيرود صديقا شخصيا لأكتافيوس (إمبراطور روما) مما أثار المتدينين والوطنيين الذين رفضوا أن يكون لملكهم صداقة مع شخص وثني. وبعد موت هيرود عام ٣ ق.م بقليل قام نزاع دموي بين اليهود المتدينين وبين أركلوس بن هيرود (Herod Archelaus) ووقعت البلاد في الفوضى فذهب وفد من زعماء اليهود إلى روما وطلبوا من أكتافيوس أن يلغي الملكية في بلاد اليهود فاستجاب أكتافيوس لطلبهم وعزل أركلوس عام ٦ ميلادية وجعل البلاد ولاية رومانية من الدرجة الثانية وعين عليها حاكما مسئولا أمام والي سورية.

◄ **الكيان السادس - الثورة اليهودية الأولى (٦٦ – ٧٠ ميلادية)**

في عام ٦٦ ميلادية استطاع اليهود أن يقيموا ثورة في القدس وأن يستولوا على فلسطين. ولكن ما إن نجحوا في إخراج الرومان من فلسطين حتى بدأ الصراع فيما بينهم وبدأت حرب الاغتيالات بين بعضهم البعض. وفي هذه الأثناء كانت روما تعد العدة لاسترجاع فلسطين.

وأُرسلت الفيالق الرومانية عام ٧٠م وتم محاصرة القدس واستولوا عليها بعد خمسة أشهر من الحصار. وتم تدمير الهيكل اليهودي وقتها. وتم تشريد الكثير من اليهود إلى أنحاء الإمبراطورية وهو ما تم تسميته لاحقا بالشتات اليهودي الأول.

انتبه هنا: السبي الآشورى والسبي الكلداني ليس هو الشتات. فالسبي الآشورى يتعلق بـ ٢٥ ألف نسمة من أهل السامرة. وأما السبي الكلداني فيتعلق بـ ٧٠ ألف من يهود القدس. وهؤلاء تم ترحيلهم إلى نينوى في العهد الآشوري وبابل في العهد الكلداني. وأما ما فعله الرومان باليهود فهو ترحيل مجموعة ضخمة من مدن وقرى مختلفة وتشتيتهم في أنحاء الإمبراطورية الرومانية وهذا قد بدأ في عام ٧٠م.

◄ الكيان السابع – الثورة الباركوبية (١٣٢ – ١٣٥ ميلادية)

استقرت الأمور بعد سيطرة الرومان في فلسطين، ولكن هذا لم يمنع من حدوث الاستفزازات والاستفزازات المقابلة بين الرومان واليهود. وعلى إثر هذه الاستفزازات اشتعلت آخر ثورة لليهود في فلسطين عام ١٣٢م بزعامة شيمون باركوشيبا (Simon Bar Kosiba) واستطاع اليهود طرد الرومان من فلسطين.

ولكن بمجرد بداية الثورة قام شيمون بعمل غير حكيم على الإطلاق فقد أعلن نفسه أنه المسيح، وهذا الإعلان قد وافقه البعض وقد رفضه البعض وكان هذا أول شقاق يحدث خلال الثورة. وظلت الثورة مستمرة مدة ثلاث سنوات حتى تمت هزيمتهم آخر الأمر عام ١٣٥ ميلادية. ويقال إن الرومان قاموا بتسوية ٩٨٥ قرية يهودية بالأرض وصلب ما لا يقل عن ٥٨٠,٠٠٠ شخص (ضع في مولدات البحث في الإنترنت العبارة: Bar Kokhba Revolt).

وقام الرومان بتغيير اسم القدس من أورشاليم إلى إيلينا كابتولينا (مدينة إيلياء) نسبة لاسم الإمبراطور هادريان الأوسط (بليوس إيليوس هادريانوس). وقاموا بتدمير هيكل هيرود تماما وبنوا في مكانه معبد جوبيتير. وتم منع اليهود من دخول القدس إلا في يوم واحد محدد في العام يسمح لهم بالمجيء إلى القدس ليبكوا أمام خرائب الهيكل. وعلى أثر هذا حدث الشتات اليهودي الثاني.

وفي عام ٣٢٣م أعلن الإمبراطور قسطنطين (Constantine) إيمانه بالديانة المسيحية وجاء بعده ابنه قنسطنطيوس (Constantius) ثم ملك بعده قريب لهما اسمه جوليان (Julian – ٣٦١-٣٦٣م) وكان وثنيا خالصا وقرر أن يقوم بإنهاء الديانة المسيحية في البلاد، لكنه كان أكثر دهاء من أن يستخدم العنف، فقد وجد من نظرته للتاريخ أن اضطهاد المسيحيين في عهد الإمبراطور دقليانوس (Diocletian) عام ٣٠٣م لم يفتت في عضد المسيحيين بل زاد من اتحادهم ومن شفقة الناس عليهم، وما إن أصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية حتى حدثت التنازعات والانشقاقات بين المذاهب المسيحية فقرر جوليان أن يحطم المسيحية شيئا فشيئا دون أن يُخالف نصوص القانون أو العُرف العام، فمنع عن الرهبان امتيازاتهم التي حصلوا عليها من قبل على أساس أن المواطنين سواسية وحق الديانة مكفول للجميع، وإذ حاول قسطنطين أن يجمع الفرق المسيحية للاتفاق على مبدأ واحد فإن جوليان كان يجمعهم كي يتناظروا ويتجادلوا فيسقطوا في عيون الناس لكثرة خلافاتهم .

وكان لجوليان مخطط أدهى وأشد إذ يبدو أنه فكر بجمع اليهود في فلسطين وإعادة كيانهم كي يكونوا عونا له على المسيحية ، فأخذ يتودد لليهود ويتقرب منهم ثم أعلن عن رغبته لإعادة بناء الهيكل كما كان سابقا وطلب من رجاله تحقيق هذه الغاية، وهلل اليهود لجوليان وتحرك الكثير من اليهود نحو القدس أغنياء وفقراء وساهموا جميعا في البناء بهمة وحماس، لكن القدر لم يُمهل

جوليان فقد أصابه جرح مميت أثناء غزوته لبلاد فارس بعد ستة أشهر فقط من بداية هذا المشروع. ولم يكن له وارث أو وصي فاختار الجيش رئيس حجابه (!) خلفا له والذي كان بالصدفة مؤمن بالمذهب الآرثوذكسي، وتحطم حُلم اليهود قبل أن يبدأ.

ويُعتبر موت جوليان منعطفا هاما في تاريخ اليهود، فقد كان الأباطرة السابقون ينظرون إلى اليهود على أنهم جنس مشاكس يجب ترويضه، أما بعد جوليان فقد أصبحت نظرة المجتمع الروماني لهم أنهم جنس آثم قد قام بقتل ابن الرب. واستمرت هذه النظرة في بلاد الرومان (أوروبا) حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي.

◄ **الكيان الثامن – خيبر (؟؟؟ - ٦٢٨ ميلادية)**

يقال إن فرعا من بني هارون عليه السلام قد خرجوا إلى الصحراء بحثا عن مدينة النبي المبشر به بعد أن دك بختنصر القدس وقد وجدوها واستقروا فيها، ثم جاءتهم هجرة أخرى من اليهود على إثر الشتات اليهودي الأول عام ٧٠م.

وعندما تهدم سد مأرب خرجت الأوس والخزرج حتى وصلت يثرب فطاب لهم المكان واستقروا فيه تحت ولاء اليهود. ولما زاد طغيان اليهود عن حده تجمعت الأوس والخزرج تحت قيادة مالك بن عجلان بمساعدة من أقربائهم الغساسنة وضربوا يهود يثرب الضربة القاصمة وأصبحت يثرب منذ ذلك اليوم مُلكا للعرب. وتوزعت يهود يثرب في ضواحيها وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . وأما خارج المدينة فقد استقر اليهود في وادي القرى وفدك وتيماء وكان التجمع الرئيسي لليهود والثروة والعدد والعدة في خيبر.

ومعنى كلمة "خيبر" هو الحصن. وخيبر هي منطقة عامرة غنية بالماء والشجر والتمور، وقد ورد ذكرها في وثائق أثرية ضمن المناطق الخاضعة للمملكة

البابلية حوالي عام ٥٤٥ ق.م. وكذلك ورد ذِكْرها في الوثائق الآشورية. والكيفية التي استطاع فيها اليهود أن يأخذوا هذه المنطقة غير واضحة حتى الآن ولكن الشائع في المصادر أن اليهود غلبوا قوما يُسمونهم العماليق في زمن قديم جدا، وهذا بحق بحاجة إلى بحث.

وكانت في منطقة خيبر مجموعة كبيرة من الحصون كلها تابعة لليهود. والحصون الرئيسية في خيبر هي: حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة وقلعة زبير وقلعة أبيّ وحصن البرىء وحصن القموص وحصن الوطيح وحصن السلالم وغيرها الكثير. وكثير من هذه الحصون ما زالت موجودة إلى الآن في خيبر (المرجع: الحلبي، وأبو بدر وآخرون).

وكان أول احتكاك بين المسلمين واليهود مع بني قينقاع، فبعد غزوة بدر حدث منهم استفزاز فجمعهم رسول الله عليه السلام وقال لهم " يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم" فقالوا "يا محمد إنك ترى أنا قومك، لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس" (سيرة ابن هشام).

ولما ظهر الخطر منهم ذهب إليهم الرسول عليه السلام وأجلاهم بعد حصار خمس عشرة ليلة.

وفي عام ٤ هـ ذهب رسول الله إلى بني النضير يستعينهم في دية اعتمادا على المعاهدة التي بين المسلمين وبينهم ولكنهم حاولوا اغتياله فخرج مسرعا إلى المدينة وأمر بالمسير إليهم وأجلاهم بعد حصار ست ليال. وفيهم نزل قول الله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ

يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ" (٢ – الحشر) .

وفي عام ٥ هـ توجه المسلمون نحو بني قريظة لنقضهم العهد بينهم وبين المسلمين في غزوة الأحزاب، وبعد حصار خمس وعشرين ليلة نزل اليهود على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء.

ثم جاء دور خيبر وهي القوة الرئيسية لليهود ومنها كانت تحدث المكائد وهم الذين جمعوا الأحزاب لضرب المسلمين وكانت بينهم وبين كثير من الأعراب أحلاف وعهود فكانوا هم الخطر الأكبر.

وتوجه لهم رسول الله عليه السلام عام ٧ هـ (٦٢٨ ميلادية) بألف وخمسمائة مقاتل، وذكر محمود شاكر في مجموعته "التاريخ الإسلامي" أن عدد المقاتلين اليهود في خيبر قد وصل إلى أحد عشر ألف مقاتل. وقد يكون في هذا العدد مبالغة إلا أنه من المؤكد أن اليهود كانوا يفوقون المسلمين في العدد والعدة . وحاصر الرسول عليه السلام خيبر حتى استسلم أهلها ثم حاصر يهود وادي القرى حتى استسلموا واستسلم يهود فدك وتيماء دون حرب وكان هذا نهاية الكيان السياسي لليهود في الحجاز.

من المناسب أن نذكر كيانا آخر لليهود ولكنه لم يكن لبني إسرائيل بل هو كيان عربي خالص، فقد آمن تبان أسعد أبو الكرب ملك اليمن بالديانة اليهودية وأقنع بها قومه واستمر هذا الحال حتى احتلال الأحباش لليمن في عهد ذي نواس بن تبان أسعد .

انتبه هنا.... قد يستصغر البعض من وضع اليهود في الحجاز ويعتبرونه تجمعا وليس كيانا ولا دولة ولكن الاعتبارات تؤخذ بالمقارنة، فإذا قلنا: إن قريشا كانت كيانا سياسيا مستقلا وإنها تمثل دولة، وإن دولة الإسلام بدأت منذ

هجرة رسول الله عليه السلام مع أن عدد المسلمين وقتها لم يتجاوز المئات، فإن هذا يجعل اليهود في خيبر يمثلون دولة وخصوصا أن خيبر كانت غنية وكانت ممتلئة بالحصون المنيعة في ذلك الوقت.

الفصل الرابع
الكيان التاسع لبني إسرائيل (الكيان الحالي)

هناك رأي يقول إن الإنجليز قد نظروا في أمر العالم وخصوصا بعد المحاولة الفاشلة لمحمد علي باشا في خلق دولة كبرى في قلب العالم العربي (مصر والشام) بين عامي ١٨٣٢ و١٨٤٠. وكانت النتيجة أنهم قرروا إقامة كيان يهودي في فلسطين.

ولا يوجد أية أدلة صريحة لهذا الرأي ولكن منطقية الواقع السياسي وتصرفات الإنجليز تضع مصداقية كبيرة لها. فقوة العالم العربي تكمن في الاتحاد بين بلاد الشام ومصر. وهذا الأمر واضح بالنظر إلى قصة تحرير القدس من الصليبيين. وكذلك قوة العالم الإسلامي تكمن في الاتحاد بين آسيا وأفريقيا. وهذا كذلك واضح بالنظر إلى التاريخ الإسلامي وخصوصا تاريخ الدولة العثمانية.

ولهذا السبب فإنه من الطبيعي أن تُقرر إنجلترا فصل آسيا عن أفريقيا عن طريق خلق كيان غريب ومستقل تابع لها في فلسطين.

ونتيجة لخبرة إنجلترا في الثورات الشعبية (إذ كانت الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية حديثة في ذلك الوقت)، فقد وجدت إنجلترا أن خلق كيان غريب في فلسطين هو أوفر كلفة وأكثر ضمانا من مجرد احتلال هذه المنطقة.

والأمر الأهم أنه كانت هناك دعوات فردية متفرقة ذلك الوقت بضرورة إرجاع اليهود إلى فلسطين. وكانت هذه الدعوات من بعض اليهود العلمانيين ومن بعض المسيحيين البروتوستانت.

وبالنسبة لليهود فقد كان عندهم الحُلم أن يكون لهم كيان خاص بهم. وقد كانت نظرة المتدينين منهم أن المسيح سيأتيهم وينقذهم ويخلق لهم دولة في فلسطين ولكن العلمانيين قرروا استباق الأمر والدعوة إلى خلق هذه الدولة دون انتظار للمسيح.

وأما المسيحيون البروتوستانت فقد فسروا بعض النبوءات الموجودة في سفر الرؤيا (Book of Revelation) ليوحنا بن زبدي (John the Apostle) أنها تعني أن المسيح كي يرجع فلا بد أن يكون اليهود في فلسطين. ولهذا فقد كانت الدعوة هي إرجاع اليهود إلى فلسطين كي يرجع المسيح. وأحد أبرز القادة السياسيين الذين تبنوا هذه النظرة هو الرئيس الأمريكي جون أدامز (John Adams) والذي قال في عام ١٨١٨: أتمنى أن يكون لليهود دولة مستقلة في فلسطين:

"I really wish the Jews again in Judea an independent nation"
(المرجع: Wikipedia - Restorationism).

ولكن هذه الدعوات كانت فردية ولم يكن هناك جهة سياسية تحتضنها ولا دولة تتبناها، وحتى أمنية أدامز السابقة لم تؤد إلى قيام جهة ذات وزن سياسي لتحقيقها أو الدعوة لها ذلك الوقت.

وهنا وجدت إنجلترا ضالتها ووجدت الدافع والعذر لتحقيق هدفها، ومنها جاءت إستراتيجيتها بتبني الدعوة لإرجاع اليهود إلى فلسطين. وفي واقع الحال فقد قررت إنجلترا أن تضرب ثلاثة أهداف بحجر واحد. فخلق دولة يهودية في فلسطين هو مصلحة إستراتيجية حيوية لإنجلترا حيث إن هذا سيضع عراقيل حقيقية أمام الوحدة الإسلامية. وكذلك فإن هذا الكيان سيكون قاعدة أمامية لإنجلترا في قلب العالم الإسلامي. وكذلك فإن الدعوة إلى إرجاع اليهود في فلسطين سيضمن لإنجلترا طابورا خامسا لهم (أي جواسيس وأتباع) من اليهود

في كل من روسيا وتركيا وألمانيا وفرنسا، حيث إن الوجود اليهودي ذلك الوقت كان متركزا في هذه الدول الأربع.

ولتحقيق الأهداف الإنجليزية فإن إنجلترا قامت بالخطوط المتوازية التالية:

- بدأت إنجلترا بنشر نبوءة يوحنا وبشكل منهجي ومتواصل في كنائسها وكنائس أوروبا والتي تقول إن المسيح كي يرجع فلا بد من إرجاع اليهود إلى فلسطين. وكان هذا البداية الرسمية لنشوء الصهيونية المسيحية (Christian Zionism).

- بدأت إنجلترا بتقوية النفوذ السياسي لليهود في إنجلترا وخارجها.

- بدأت إنجلترا بتقوية الجناح العلماني عند اليهود. فقد كان أول المقاومين لفكرة الهجرة إلى فلسطين هم المتدينون اليهود أنفسهم. فقد قرروا أن الدعوة إلى الرجوع إلى فلسطين دون المسيح هي مخالفة لمبادئ ديانتهم. ولكن هذه المقاومة قد خفت مع الزمن مع الإغراءات المتكررة بإمكانية السيطرة على فلسطين.

- وعلى تخمين المؤلف فإن الإنجليز هم من ألَّفوا كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" (The Protocols of the Elders of Zion) والذي طبع أول مرة في روسيا عام ١٩٠٣ ميلادية. ويجب الانتباه أن اليهود كانوا قوما منبوذين في العالم ومنذ مئات السنين. ومع أن حياة اليهود في أوروبا قد تحسنت مع انتشار المذهب البروتستانتي وانتشار المبدأ العلماني إلا أن النظرة الخاصة للأوروبيين تجاه اليهود بقيت نظرة غير متساوية. فاليهود لم يتم النظر إليهم أنهم مواطنون من الدرجة الأولى كباقي المواطنين في أوروبا إلا في أواسط القرن العشرين. ولهذا السبب كان من الضروري لإنجلترا القيام بخلق شخصية في جماعة قد فقدت شخصيتها منذ قرون طويلة. وكان هذا ضروريا كي يستطيع اليهود مواجهة حاخاماتهم وتحمل الصعاب للهجرة إلى فلسطين. وكان أحد الأمور

التي قامت إنجلترا بها لتحقيق هذا الأمر (على غلبة التخمين) هو وضع كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" والذي يوحي بأن العالم كله يديره اليهود منذ مئات السنين وأن كل ما يحدث الآن إنما هو من تدبير اليهود وأن اليهود في غاية الذكاء والمهارة والعبقرية. وكما سيتم نقاشه لاحقا فهذه الصفات غير دقيقة ولكنها صفات كانت إنجلترا بحاجة أن تزرعها في وجدان اليهود كي يستطيع الإنجليز تنفيذ مخططاتهم في فلسطين.

وفيما يلي أبرز المحطات في المشروع الإنجليزي لإقامة دولة بني إسرائيل في فلسطين:

١٨٣٣ قام محمد علي باشا بإرسال حملة لاحتلال بلاد الشام تحت قيادة ابنه إبراهيم باشا.

١٨٣٧ قامت الملكة فيكتوريا بترفيع مونتيفوري (Moses Montefiore) إلى مرتبة فارس (Sir) وليكون أول يهودي يحصل على هذه المرتبة في إنجلترا (المرجع: Wikipedia - HJE).

١٨٣٨ أقامت إنجلترا أول قنصلية لها في فلسطين.
(المرجع: Wikipedia - Christian Zionism).

١٨٣٩ أرسلت الكنيسة الإسكوتلاندية (Church of Scotland) بعثة للنظر في أحوال اليهود. ونتيجة لهذه البعثة قامت الكنيسة بكتابة مذكرة إلى الملوك البروتستانت بضرورة إرجاع اليهود إلى فلسطين:
Memorandum to Protestant Monarchs of Europe for the restoration of the Jews to Palestine.
(المرجع: Wikipedia - Christian Zionism).

١٨٤٠ التحالف الأوروبي يفرض على محمد على باشا وبالتهديد العسكري الصريح الانسحاب من بلاد الشام مقابل الاعتراف بمصر كحق لذرية محمد علي باشا.

١٨٤٠ ذكرت جريدة التايمز (The Times) أن الحكومة البريطانية تنظر في إرجاع اليهود إلى فلسطين. (المرجع: Wikipedia - Christian Zionism).

١٨٤٠ وضع تشارلز تشرشل (Charles Henry Churchill) القنصل البريطاني في دمشق أول اقتراح دبلوماسي مُوَثَّق لخلق دولة يهودية في فلسطين. وتكشف رسائله إلى مونتيفوري (Moses Montefiore) وهو سياسي إنجليزي وأحد أغنياء اليهود في إنجلترا مستوى العمق في التخطيط الإنجليزي لخلق الدولة اليهودية في فلسطين. (المرجع: Wikipedia - CHC).

١٨٤٠ قام تشيفزيباري (Anthony Ashley Cooper, Earl of Shaftesbury)، وهو سياسي إنجليزي وعضو مجلس اللوردات وكان أحد كبار منظري الصهيونية المسيحية، بوضع إعلان ذي صفحة كاملة في جريدة التايمز تدعو الملوك البروتستانت إلى إرجاع اليهود إلى فلسطين. (المرجع: AndrewCollins).

١٨٤١ قامت الملكة فيكتوريا بترفيع جولدزميد (Isaac Lyon Goldsmid) إلى مرتبة بارون (Baronet) وليكون أول يهودي يتم ترفيعه إلى هذه المرتبة في إنجلترا (المرجع: Wikipedia - HJE).

١٨٤٤ قام إسكندر كيث (Alexander Keith) وهو أحد أعضاء بعثة الكنيسة الإسكتلندية (السابق ذكرها) بوضع كتاب "أرض إسرائيل وفقا لعهد إبراهيم واسحق ويعقوب":

The Land of Israel According to the Covenant with Abraham, with Isaac, and with Jacob.

وفي هذا الكتاب تم خلق الشعار الذي اشتهر لاحقا: أرض بلا شعب لشعب بلا أرض:

Land without a people for a people without a land.

(المرجع: Wikipedia - Christian Restorationism).

١٨٥٥ تم انتخاب سالومونز (David Salomons) ليكون أول عمدة يهودي لمدينة لندن (المرجع: Wikipedia - HJE).

١٨٥٨ تم وضع قانون تحرير اليهود (Emancipation of the Jews) وفيه تم إعطاء اليهود حقوق المواطنة الكاملة في انجلترا.
(المرجع: Wikipedia - Jewish emancipation).

١٨٥٨ تم السماح لروتشيلد (Lionel de Rothschild) بالانضمام إلى مجلس العموم البريطاني ليكون أول يهودي في إنجلترا يحصل على هذه العضوية (المرجع: Wikipedia - HJE).

١٨٦٥ تأسس في لندن تحت رعاية الملكة فيكتوريا "صندوق استكشاف فلسطين" (Palestine Exploration Fund). (المرجع: عمارة، والمسيري).

١٨٨٠ "صدر في إنجلترا كتاب (أرض جلعاد) [The Land of Gilead] لعضو البرلمان الإنجليزي لورنس أوليفنت [Laurence Oliphant] الذي يقترح فيه إقامة مستوطنة يهودية مساحتها مليون ونصف مليون فدان بجوار نهر الأردن، تحت السيادة العثمانية الاسمية، وتحت الحماية البريطانية، وذلك كي يهاجر إليها يهود روسيا ورومانيا" (المرجع: عمارة، وAndrewCollins والنص لعمارة).

١٨٨٢ "ذهب القس الإنجليزي وليم هشفر [William Hechler] إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني محاولاً إقناعه بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين" (المرجع: عمارة).

١٨٨٢ قام أدموند روتشيلد (Baron Edmond de Rothschild) بتمويل أول هجرة يهودية إلى فلسطين (المرجع: AndrewCollins). ويبدو أن ذلك كان ثمرة المفاوضات والضغط الإنجليزي على الخلافة العثمانية.

١٨٨٢ "عُقد في إنجلترا المؤتمر اللاهوتي الأول للقساوسة الإنجيليكانيين من أجل إيجاد حل للمسألة اليهودية" (المرجع:عمارة).

١٨٨٤ تم السماح لنيثان روتشيلد (Nathan Rothschild) بدخول مجلس اللوردات ليكون أول يهودي يحصل على هذه العضوية في إنجلترا (المرجع: Wikipedia - HJE).

١٨٩٤ "أصدر القس الإنجليزي وليم هشفر [William Hechler] كتابه "إعادة اليهود إلى فلسطين" [The Restoration of the Jews to Palestine] تنفيذًا للنبوءات الدينية المسيحية الصهيونية أي قبل سنوات من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧ وقبل سنوات من إصدار هرتزل كتابه "الدولة اليهودية"، الذي صدر سنة ١٨٩٦م" (المرجع: عمارة، وAndrewCollins. والنص لعمارة).

١٩٠٧ وصل عدد المهاجرين اليهود في فلسطين إلى ٨٠ ألف (المرجع: AndrewCollins).

١٩١٤ وصل عدد المهاجرين اليهود في فلسطين إلى ١٠٠ ألف (المرجع: AndrewCollins).

١٩١٦ الاتفاق بين إنجلترا وفرنسا وروسيا الإمبراطورية على تقسيم تركة الدولة العثمانية (بلاد الشام والعراق) بينهم.

١٩١٧ أصدر وزير الخارجية الإنجليزي بلفور (Arthur Balfour) وعده (Balfour Declaration) إلى اليهود بإنشاء وطن قومي لهم: "إن حكومة صاحب الجلالة ترى بعين العطف تأسيس بيت قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يُفهَم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين، أو الحقوق والوضع السياسي التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر" (المرجع الجزيرة نت – وعد بلفور). ومنذ ذلك اليوم بدأت الترتيبات العلنية الإنجليزية لسرقة أرض فلسطين وتسليمها لليهود.

١٩١٧ القوات الإنجليزية تقوم باحتلال القدس تحت قيادة اللنبي (Edmund Allenby) والذي قال كلمته الشهيرة وقتها: اليوم انتهت الحروب الصليبية. ومنذ ذلك اليوم بدأت الهجرات اليهودية الضخمة نحو فلسطين.

١٩٤٧ الأمم المتحدة تقوم بإعطاء اليهود حق إقامة دولة مستقلة لهم.

١٩٤٨ اليهود يعلنون إقامة دولة مستقلة لهم في فلسطين الغربية.

١٩٦٧ اليهود يقومون باحتلال فلسطين الشرقية وفلسطين الجنوبية (قطاع غزة) وسيناء والجولان.

الفصل الخامس

السيناريو المحتمل للتحرير

قال الله تعالى في سورة الإسراء: " فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآَخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ".

وغلبة الظن أن "كما" هنا تفيد التشبيه. أي أن القرآن يُشَبِّهُ دخول المسلمين إلى المسجد في الوعد الثاني كما دخل المسلمون المسجد أول مرة.

وهنا السؤال الأول: كيف دخل المسلمون المسجد أول مرة؟؟

إن أول دخول للمسجد من قبل المسلمين كان في عهد عمر بن الخطاب وأول جواب يتبادر إلى الذهن هو أن المسلمين قد دخلوا المسجد أول مرة "سِلْماً" . ولكن هذا يتعارض مع باقي الآية في قوله تعالى: "لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ" ويتعارض كذلك مع حديث "الحجر" وهو قول الرسول عليه السلام: "لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله " رواه مسلم في الفتن.

وهنا نرجع إلى السؤال السابق مرة أخرى : كيف دخل المسلمون المسجد أول مرة؟؟

ولكن هناك نقطة أثارت اهتمام المؤلف وهي السؤال التالي: كم مرة دخل المسلمون المسجد؟؟؟

لقد دخل المسلمون القدس خمس مرات:

المرة الأولى: فتحها عمر بن الخطاب عام ١٥هـ .

المرة الثانية: احتل الصليبيون القدس عام ٤٩٢هـ واسترجعها منهم صلاح الدين عام ٥٨٣هـ.

المرة الثالثة: قام ابن أخ لصلاح الدين يسمى الكامل بتسليم القدس إلى الصليبيين عام ٦٢٦هـ ضمن صفقة سياسية ثم استرجعها منهم الناصر داود عام ٦٣٦هـ.

المرة الرابعة: في عام ٦٣٧ هـ قام أحد أمراء البيت الأيوبي ويسمى الصالح إسماعيل بتسليم القدس إلى الصليبيين ضمن صفقة سياسية أخرى واسترجعها منهم الجيش الخوارزمي عام ٦٤٢هـ.

المرة الخامسة:في عام ١٩١٧ ميلادية احتل الإنجليز القدس ثم انسحبوا منها عام ١٩٤٨ واستلم حكمها المسلمون. وهذا معناه أن المسلمين لم يسترجعوا القدس وإنما انسحب منها العدو طوعا. وفي عام ١٩٦٧ ميلادية احتل اليهود القدس وما زالت بأيديهم.

السؤال الآن: ما هو الفرق بين دخول المسلمين القدس أول مرة وبين دخولهم المرات التالية؟؟

- المرة الأولى والمرة الخامسة كان دخولهم سلما.
- المرة الأولى والثانية والثالثة والرابعة كان دخولهم أعزة. وأما المرة الخامسة فقد كان دخولهم إلى القدس هو بسبب تطوع العدو الخروج منها.
- المرة الأولى كان دخولهم تحت راية الخلافة. في حين أن دخولهم في جميع المرات التي تلت ذلك كان تحت رايات دول مستقلة عن الخلافة. أي في المرة الأولى كان جميع المسلمين تحت نظام سياسي واحد في حين أن المسلمين في المرات التالية كانوا متفرقين تحت أنظمة سياسية مختلفة.

ولهذا السبب نستطيع أن نقوم بتمييز الدخول المتضمن بالآية إلى الاحتمالات التالية:

١. أن يكون دخولهم سلما وأعزة.
٢. أن يكون دخولهم تحت راية الخلافة.
٣. الاحتمالان السابقان معا، أي أن يكون دخولهم سلما وأعزة وتحت راية الخلافة.

المشكلة هنا أن الدخول سلما يتعارض مع تكملة الآية " لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ" ويتعارض كذلك مع حديث الحجر السابق ذكره.

وضمن النظر إلى التحليلات السابقة وضمن النظر إلى امتدادات السياسة الدولية الحالية وضمن النظر إلى ديناميكيات المجتمعات الإسلامية والغربية فإن المؤلف يُخَمِّنُ السيناريو التالي للتحرير والذي يتوافق مع كل ما سبق. وهذا التخمين يتضمن أن تحرير فلسطين سيتم من خلال ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

قوة العالم الإسلامي ووعيه وذكاؤه في تعاظم مستمر. وفي الوقت نفسه فإن ضعف الانضباط وشقاق العالم الغربي وتخبط قراراته السياسية والاقتصادية في تصاعد مستمر. وضمن الحالة الاقتصادية السيئة في العالم فإن العالم الغربي سيحاول قدر الإمكان تهدئة الوضع القائم.

ولكن إسرائيل لا تستطيع كبح حماقاتها، وستقوم بحماقات متكررة تؤدي في النهاية إلى إشعال العالم الإسلامي كله في وجه الثنائي (إنجلترا وأمريكا) وتبدأ دعوة جَدِّية وصريحة وعلنية من المحيط إلى المحيط بعمل الوحدة وضم الجهود للتصدي لإسرائيل وحلفائها.

ومثل هذا الاشتعال ومثل هذه الدعوة ستؤدي إلى تهديد عروش ضخمة يمكن أن تَسْقط في ليلة وضحاها. وبعد الذي حدث في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا فإن الثنائي يبدأ ينظر وبجدية حقيقية إلى خطورة الاحتقان في العالم الإسلامي. ويبدأ الانتباه أن الشعوب الإسلامية إذا ثارت فإنها تثور فجأة ودون إشعار وتكون ثورتها جارفة.

ويجد الثنائي (إنجلترا وأمريكا) أن الوضع يهدد مصالحهم الحقيقية في المنطقة، بل ويهدد بصدام حقيقي ودموي بينهم وبين العالم الإسلامي أجمع. وحيث إن الحالة الاقتصادية والسياسية والمقدرة العسكرية والاستخباراتية عند الثنائي غير قادرة على مواجهة العالم الإسلامي جميعا بعد صعود الوعي وتعاظم الذكاء والقوة والإرادة عنده، فإن الثنائي سيصل إلى استنتاج مرير ولكنه مصيري وهو ضرورة تهدئة العالم الإسلامي وتخديره بإجبار إسرائيل على الخروج من القدس الشرقية تماما ونهائيا. وحيث إن إسرائيل لا تستطيع أن تفهم بالإشارة فإن هذا معناه أن الثنائي سيقومان بتهديد إسرائيل بشكل حازم وواضح بالخروج من القدس وإلا تعرضوا للضرب منهما وبشكل علني ومكشوف.

وبالطبع فإن خروج اليهود من القدس الشرقية واستلام السلطة الفلسطينية مقاليد الحكم هناك سيتم اعتباره في الدعاية العربية والإسلامية والعالمية تحريرا للمسجد الأقصى. ومن المتوقع أن يؤدي هذا إلى تهدئة حالة الغضب والاحتقان في العالم الإسلامي.

على أية حال، فإن دخول السلطة الفلسطينية إلى القدس ليس دخولا عزيزا حيث إن السلطة لم تدخل إلى القدس بقوتها الذاتية وإنما بقوة التهديد والحزم الغربي.

المرحلة الثانية:

يهدأ العالم الإسلامي ولكن ديناميكية الإسلام ورغبة الوحدة الإسلامية لا تتوقف وسينجح العالم الإسلامي بإقامة وحدتهم السياسية وإعلان دولة الخلافة.

الآن.... إذا قامت دولة الخلافة اليوم فهذا لا يعني أنها ستقوم بتصفية حساباتها مع الثنائي (إنجلترا وأمريكا) غدا، وإنما الأمر يحتاج إلى مناورات الكر والفر ومناورات المهادنة والمواجهة ودهاء التخطيط ولعبة التعامل مع الأمم. وهذا كله يحتاج إلى زمن. وعلى التخمين فإن دولة الخلافة ستقوم بتحرير فلسطين الشرقية وطرد جميع اليهود منها وعمل هدنة (وليس سلاما ولا تطبيعا) مع اليهود في فلسطين الغربية.

وتقوم الخلافة بطرد جميع المستوطنين اليهود من فلسطين الشرقية طردا حازما شديدا. وتقوم الخلافة بتدمير جميع السياجات والأسوار والجدران العازلة التي بناها اليهود في فلسطين الشرقية. وتقوم دولة الخلافة بأخذ الحكم في القدس من السلطة الفلسطينية الحاكمة.

وبهذا يتحقق معنى الآية الكريمة: فالدخول للمسجد كان سلما وعزيزا ودولة خلافة، وتمت إساءة الوجه لبني إسرائيل، وتم التتبير.

المرحلة الثالثة:

لقد كانت قريش أكثر ذكاءً من بني إسرائيل ولكن قريشا لم تستطع أن تحافظ على عهد الهدنة بينها وبين الرسول عليه السلام أكثر من عامين. وعليه فإن غلبة تخمين المؤلف أن اليهود سينكثون بعهد الهدنة بينهم وبين دولة الخلافة خلال أشهر قليلة. وعندها سيقوم المسلمون بتحرير فلسطين الغربية،

ويتحقق حديث الحجر. وما فعلته بني إسرائيل في فلسطين من انتهاكات وفحش وجرائم وتكبر وطغيان في عشرات السنين السابقة ربما يتم تصفية حساباتها في أيام قلائل.

انتبه الآن ..... ما سبق هو تخمين تم بناؤه على فهم ظني للآيات القرآنية والواقع السياسي الحالي. ومن الخطأ الحقيقي القيام بالاقتناع الكامل بهذه التخمينات. وبحق، فإنه من الخطيئة أن يبني أحد مخططاته السياسية على تخمين غيبي للمستقبل.

ولكن الفائدة من التخمينات السابقة (والتخمينات المشابهة) أنها تقوم بتنبيه العقل إلى أمور لم يكن لينتبه إليها، وربما تزيد في الدافعية والحماسة والثقة بالمستقبل.

وما دامت التخمينات السابقة ستبقى موجودة في الدماغ أنها تخمينات طيبة عن المستقبل فلا يوجد منها ضرر كبير وفيها الكثير من الفائدة.

الفصل السادس
احتمالية انهيار المسجد الأقصى

تقوم جهات فلسطينية مسئولة منذ سنوات بالتحذير من انهيار المسجد الأقصى بسبب الحفريات الإسرائيلية تحت المسجد.

وبالطبع لا يوجد عند هذه الجهات أدلة واضحة لذلك، حيث إنهم غير مسموح لهم بمتابعة ومعاينة هذه الحفريات. ولهذا السبب فتحذيراتهم مبنية على قرائن وليست على أدلة علمية.

ولكن ضمن النظر إلى رغبات القيادة الإسرائيلية وأحلامهم لإنشاء هيكل سليمان وحماقات سياساتهم المتكررة فإن غلبة الظن أنه يوجد عند القيادات الإسرائيلية مخطط ومنذ سنوات يهدف إلى هدم المسجد الأقصى وبطريقة يمكن التَّملص من تبعياتها بأساليب دبلوماسية.

دعونا ننظر إلى مثال يقوم بتوضيح طريقة التفكير الإسرائيلية:

أرادت إسرائيل الانتقام من إحدى عمليات حماس الجهادية عام ١٩٩٧ واختارت هدفا للاغتيال وهو خالد مشعل في الأردن. وقد كشف داني باتوم (أحد قيادات الاستخبارات الإسرائيلية) أن نتنياهو قد اطَّلع على مخطط الاغتيال بما فيه من تحذير واضح أن هذه العملية ستلحق أضرارا بالعلاقات مع الأردن، ولكن نتنياهو أمر بتنفيذ عملية الاغتيال قائلا: إنه بالإمكان تصحيح الأمر بمختلف الطرق الدبلوماسية (الشرق الأوسط – ١٢-١١-٢٠٠٩).

وعليه، فإنه من المتوقع أن القيادات الإسرائيلية تفكر في موضوع المسجد الأقصى بنفس الأسلوب. فإذا انهار المسجد الأقصى دون أي يد ظاهرة للعدو

الإسرائيلي فإن العدو قادر على التملص من تبعيات هذا الانهيار بالطرق الدبلوماسية المختلفة.

ولهذا السبب فليس غريبا أن تقوم إسرائيل بالحفريات أسفل المسجد الأقصى بحيث لا تؤدي هذه الحفريات إلى انهيار المسجد مباشرة ثم الابتعاد عن المسجد والصبر حتى تضعف أساسات المسجد وينهار ودون أي مسئولية مباشرة للعدو الإسرائيلي.

ولعل إسرائيل تأمل أن تأتي هزة أرضية مناسبة (كما حدثت هذه الهزات في الماضي) وبسبب ضعف أساسات المسجد نتيجة للحفريات الإسرائيلية ونتيجة للمنع المتكرر من اليهود لعمليات الكشف والترميم والصيانة للمسجد فإنه من الممكن أن ينهار المسجد. وتستطيع إسرائيل وقتها التملص من تبعية هذا الانهيار وتحميلها للهزة الأرضية.

ويوجد عند العدو الإسرائيلي سابقتان متعلقتان بهذا الأمر:

فحريق المسجد الأقصى أدى إلى هيجان العالم الإسلامي ولكن بعد عمليات أخذ ورد وعمليات دبلوماسية وإعلامية تمت الإحاطة بهذا الأمر وهدأ العالم الإسلامي.

وكذلك قام الهندوس المتطرفون بهدم مسجد بابري في الهند أمام الملأ. وقد اشتعل العالم الإسلامي وقتها. ولكن بعد الأخذ والرد وعمليات دبلوماسية وإعلامية ووعود جزيلة (وكانت وعود زائفة)، فقد استطاعت الهند الإحاطة بهذا الأمر وهدأ العالم الإسلامي وتم نسيان الموضوع.

ويغلب على الظن أن هذا ما تفكر به القيادات الإسرائيلية. إذ ليس من المستغرب أن يظن العدو أن انهيار المسجد الأقصى سيؤدي إلى اشتعال العالم

الإسلامي ولكن بجهود دبلوماسية مكثفة من الثنائي (إنجلترا وأمريكا) والغرب وبجزيل الوعود والتطمينات والضمانات وبعض التنازلات فإن العالم الإسلامي سيهدأ كما هدأ من قبل وأنه بهذا تكون إسرائيل قد حققت خطوة كبرى في تحقيق حلمها ببناء الهيكل.

ولكن هذه حماقة كبرى من إسرائيل. وهذه الحماقة لن تحرق أصابع إسرائيل فقط وإنما ستحرق معها أصابع الثنائي (إنجلترا وأمريكا).

إن العالم الإسلامي الآن ليس كالعالم الإسلامي قبل ٢٠٠٦. إذ في عام ٢٠٠٦ توازنت قوة إسرائيل وحلفائها مع قوة العالم الإسلامي.

والقوة هنا ليست القوة العسكرية فقط، وإنما محصلة جميع القوى المختلفة والتي من ضمنها القوة العسكرية، والمقدرة التكنولوجية، والذكاء، والانضباط، والإرادة، والاستعداد للتضحية بالنفس من أجل الهدف، والقدرة على الصبر تجاه الأزمات الاقتصادية، إلخ.

وفي عام ٢٠٠٦ حدثت نقطة التوازن، إذ في هذا العام لم تستطع إسرائيل أن تفرض أجندتها على لبنان واضطرت إلى وقف هجومها والانسحاب بصورة غير مشرفة واستطاع حزب الله الصمود وأظهر ذكاء وانضباطا وإرادة حقيقية أثرت في أعماق أعماق الوجدان الإسرائيلي.

وفي عام ٢٠٠٦ كانت نقطة التوازن بين إرادة إيران وإرادة العالم الغربي. وأدركت القوى الغربية أنها لا تستطيع فرض إرادتها على إيران.

وفي عام ٢٠٠٦ توازنت قوة المقاومة في العراق مع قوة الاحتلال الأطلسية وأدركت إنجلترا وأمريكا مرارة وضعهما في العراق وبدأتا منذ ذلك الوقت محاولة البحث عن طريقة مشرفة للانسحاب من العراق.

وفي عام ٢٠٠٦ توازنت قوة المقاومة في أفغانستان مع قوة الاحتلال الأطلسية واستطاعت المقاومة أن تأخذ زمام المبادرة هناك.

ومنذ عام ٢٠٠٦ وحتى الآن والقوى الإسلامية في تعاظم والقوى الغربية في نزول. وما معجزات الثورات العربية في تونس ومصر واليمن وسوريا في ٢٠١٠ و٢٠١١ إلا دليلا على ذلك.

وفي اليوم السابق لكتابة هذه السطور (٢١-١٠-٢٠١١) تم الاعلان عن مقتل معمر القذافي وهذا الأمر هو مِفْصل بين مرحلتين في تاريخ ليبيا الحديث. وإذا انتبه القارئ فإن معظم قوات الثوار في ليبيا هم من الإسلاميين المتدينين وهذا أمر لا يظن المؤلف أنه سيكون مريحا للعالم الغربي على المدى الطويل.

وقد يتساءل البعض عن دقة الادعاء بالتوازن بين العالم الإسلامي والغربي، ويقول إن لأمريكا قوة نووية طاغية ولا يوجد في العالم الإسلامي حتى اللحظة أي قوة نووية كافية لمواجهتها وردعها. وحتى القوة النووية الباكستانية فهي غير كافية لردع القوة النووية الأمريكية.

والنظرة التي قد تتبادر إلى الذهن أن قرارا صغيرا من البيت الأبيض قادر أن يزيل إيران وأفغانستان والعراق ولبنان وليبيا ومصر من الوجود.

وهذا من الناحية الظاهرية صحيح. ولكن ما الفائدة من وجود ترسانة ضخمة مرعبة في مخازن الدولة إذا لم يكن بمقدور هذه الدولة أن تستخدمها؟؟!!

إن الظروف الدولية والمحلية تمنع أمريكا من استخدام أسلحة الدمار الشامل تجاه إيران وأفغانستان وباقي المناطق الملتهبة في العالم. والظروف الدولية هي توافق روسيا والصين وتركيا والهند وغيرها من الدول على مواجهة

الهيمنة الأمريكية مما يجعل يد أمريكا ليست حرة تماما. والظروف المحلية هي انشقاقات سياسية ومبدئية حقيقية في المجتمع الأمريكي.

ولهذا السبب فإن العالم الإسلامي (في اللحظة الحالية على الأقل) محمي من أسلحة الدمار الشامل وبقوة الظروف الدولية وليست بقوته الذاتية. وبالطبع، فإن المطلوب هو أن يتمكن العالم الإسلامي امتلاك المقدرة التكنولوجية الكافية لتحقيق الحماية الذاتية له. ولكن الصعود إلى قمة الهرم لا يكون بخطوة واحدة وإنما بخطوات متكررة ومثابرة ، والعدو العملاق لا يسقط فجأة وإنما يحتاج الأمر إلى مراحل متكررة، والصغير لا يصير عملاقا في مرحلة واحدة وإنما الأمر بحاجة إلى مراحل متكررة.

ولهذا السبب فإن الأسلحة النووية المكدسة الآن في مخازن الجيش الأمريكي لا يتم وضعها ضمن تحليل القدرات والقوى المختلفة للوضع السياسي في العالم الإسلامي في هذه الفترة الزمنية على الأقل.

وهذا ما عناه المؤلف بنقطة التوازن. فإذا أخذنا القدرات المتوفرة الحالية والتي بالإمكان استخدامها مباشرة فإن العالم الإسلامي قد وصل إلى نقطة التوازن مع العالم الغربي في عام ٢٠٠٦. ومنذ ذلك التاريخ والعالم الإسلامي من انتصار إلى انتصار. وكذلك فإن العالم الغربي منذ عام ٢٠٠٦ هو في نزول إلى نزول.

وللأمانة فيجب القول إن أول من لمح لهذا الأمر هو حسن نصر الله، فقد قال في إحدى خطبه عام ٢٠٠٦ (ما معناه): لا هزائم بعد اليوم وإنما كله انتصارات. وغلبة الظن أنه كان يقصد الصراع بين حزب الله وإسرائيل. ولكن ظاهر الأمر أن كلمته هذه تشمل العالم الإسلامي بأجمعه.

وهنا يأتي السؤال: ما هو المتوقع حدوثه إذا استيقظ العالم الإسلامي وتبين له أن المسجد الأقصى قد انهار؟؟؟

لننظر إلى سوابق ما قبل ٢٠٠٦:

- احترق المسجد الأقصى في عام ١٩٦٩. وقد اشتعل العالم الإسلامي لهذا العمل. ولكن ذلك الوقت لم تكن لدى الشعوب الإسلامية والعربية أي كلمة مؤثرة لدى الأنظمة الحاكمة. وقد استطاعت الأنظمة الحاكمة بأسلوب الشجب والتنديد وتهديد العدو واجتماعات القمم تهدئة العالم الإسلامي وقتها، ونسي العالم الإسلامي ما حدث واستمرت الحياة.

- في عام ١٩٩٦ قام نتنياهو بافتتاح نفق تحت المسجد الأقصى. وقد اشتعلت فلسطين لهذا الأمر واشتعل العالم الإسلامي معه. ولكن كما في السابق فإن الشعوب العربية والإسلامية لم يكن لها كلمة مؤثرة لدى الأنظمة الحاكمة واستطاعت الأنظمة الحاكمة بأسلوب الشجب والتنديد وتهديد العدو والاجتماعات تهدئة العالم الإسلامي وقتها، ونسي العالم الإسلامي ما حدث واستمرت الحياة.

- في عام ٢٠٠٠ قام شارون وبحماية آلاف الجنود بزيارة استفزازية للمسجد الأقصى. وغلبة الظن أن هذه الحركة من شارون كانت تهدف إلى تخفيف الضغط العالمي تجاه القيادة الإسرائيلية في موضوع مفاوضاتها مع السلطة الفلسطينية وذلك بخلق مشكلة بينها وبين الفلسطينيين. وكانت النتيجة من هذه الزيارة هي اندلاع الانتفاضة الثانية في فلسطين. وبالطبع فقد اشتعل العالم الإسلامي ولكن الأنظمة الحاكمة استطاعت تخفيف غضب هذه الشعوب بأسلوب الشجب والتنديد واجتماعات القمة والمخاطبة الدولية، إلخ.

- في عام ٢٠٠٢ قامت إسرائيل بمذبحة جنين والتي راح ضحيتها الكثير والكثير من المدنيين. وانتشرت صور الأطفال الموتى في الإنترنت والعالم. ولكن لم يكن للشعوب العربية والإسلامية الكلمة المؤثرة لدى الأنظمة الحاكمة واستطاعت الأنظمة الحاكمة بأسلوب الشجب والتنديد والاجتماعات تهدئة العالم الإسلامي وقتها، ونسي العالم الإسلامي ما حدث واستمرت الحياة.

- في عام ٢٠٠٦ قامت إسرائيل بضرب لبنان بمختلف أنواع الأسلحة ومات الكثير والكثير من المدنيين وصورهم ما زالت لامعة في الذاكرة. وقد استطاع حزب الله الصمود وببطولة. وكانت مجزرة لبنان هي بداية الانشقاق الواضح بين الشعوب العربية وأنظمتها الحاكمة.

- في عام ٢٠٠٩ قامت إسرائيل بحرب دموية جائرة مجرمة في غزة. واستطاعت المقاومة الإسلامية الصمود وبقوة تجاه هذه الهجمة. وكان واضحا تماما مستوى الانشقاق بين الشعوب العربية وأنظمتها الحاكمة. وعندما قامت بعض الأنظمة بانتقاد حماس فإن الشعوب العربية كانت تدعو لحماس وللمقاومة الإسلامية في غزة.

لكن انتبه لما حدث بعد الثورات العربية في ٢٠١١: فقد قامت إسرائيل بالتعدي على الحدود المصرية وقتل بعض الجنود المصريين. فماذا كانت النتيجة؟؟

لم تستطع الحكومة المصرية ولا الشرطة المصرية ولا الجيش المصري منع الشعب المصري من اقتحام السفارة الإسرائيلية وحرقها بالكامل.

لقد تغيرت اللعبة وتغير مجرى التاريخ.

وهنا تخيل ما الذي يمكن أن يحدث للعالم الإسلامي (بعد أن ظهرت له كلمة مؤثرة في الأنظمة الحاكمة) إذا استيقظ فجأة ووجد أن المسجد الأقصى قد انهار!!!

إن حماقات إسرائيل المتكررة تنبئ أنها سفينة تتجه نحو الغرق. ولكن هذه السفينة (إسرائيل) مربوطة وبشكل وثيق مع الثنائي (إنجلترا وأمريكا). وهذا الرابط يتمثل بالمسئولية التاريخية: فالإنجليز هم من خلقوا هذا الكيان السرطاني في فلسطين، وهم من غضوا الطرف عن جرائم إسرائيل المتتالية. وأما أمريكا فهي مصدر السلاح ومصدر الحماية الدولية لإسرائيل. وقد أصبح أمرا من المسلمات في وجدان العالم الإسلامي أن جرائم إسرائيل في فلسطين هي مسئولية أمريكية.

دعونا نشرح ما سبق بتفصيل:

جرائم وحماقات إسرائيل في فلسطين وقيام إنجلترا وأمريكا بغض الطرف عنها قد بدأ يشحن النفوس منذ نهاية الستينيات. وكان الغزو الأطلسي للعراق عام ١٩٩٠ هو الذي شق الجماعة السلفية إلى نصفين: الأول وهم السلفية النظرية وهم أتباع ابن باز في السعودية، والثاني وهم السلفية الجهادية وهم حركة القاعدة وأتباع ابن لادن.

ولكن القاعدة لم تتحرك بشكل جدي تجاه الأراضي الأمريكية إلا بعد الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام ٢٠٠٠ والتي تميزت بشدة الانتهاكات الإسرائيلية تحت منظر ومسمع من العالم الغربي كله دون أي تحرك حقيقي لوقفها. وكان تصريح ابن لادن واضحا في أنه سَيُذيق الأمريكيين يوما من أيام المحنة في فلسطين.

وجاءت ضربة المركز التجاري الأمريكي عام ٢٠٠١. وكانت صدمة للجميع وبدأ العامة الأمريكيون يتساءلون لماذا يكرهنا هؤلاء؟

إن قيام شخص بقتل مجموعة ثم ينتحر هو أمر متكرر في أمريكا ولكن قيام مجموعة بالتخطيط الدؤوب كي ينتحروا من أجل الإيذاء هو أمر جديد جدا على أمريكا وجعل الأمريكيون يتساءلون بجدية عن الأسباب وراء هذا الأمر.

وفي اللحظات الأولى تم وضع الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على الواجهة. بل في إحدى تحقيقات الكونجرس سأل هاملتون (أحد أعضاء الكونجرس Lee Hamilton) أجهزة الاستخبارات عن الدافع لهؤلاء الناس (القاعدة) للقيام بما قاموا به؟ فأجابه أحدهم (James Fitzgerald) أن هؤلاء ينظرون بغضب (Outrage) إلى الولايات المتحدة بسبب المشكلة الفلسطينية ولمساندة أمريكا للدول الديكتاتورية (Repressive Regimes) في المنطقة (المرجع: لقطات موثقة من الاجتماع موجودة في نداء تلفزيوني لـ David Duke راجع صفحة المراجع).

ولكن الإدارة الأمريكية وبكل "حماقة" قد رفضت هذه الاستنتاجات وقامت بالادعاء أن هؤلاء الإرهابيين إنما هم متطرفون يريدون فرض أفكارهم على العالم الحر.

بل إن جورج بوش قد صرح في اجتماع مجلس الشيوخ: "أمريكا تسأل لماذا يكرهوننا؟ إنهم يكرهون ما يرونه هنا في هذا المجلس. إنهم يكرهون حريتنا" (المرجع السابق).

وكانت سخرية الأقدار أن شهادة ضابط الاستخبارات السابق لم يتم وضعها في التقرير النهائي للكونجرس والمتعلق بتأثير الصراع العربي الإسرائيلي على هجمات القاعدة. بل في أحد اللقاءات الصحافية فقد تم إحراج هاملتون بسبب

هذا الأمر وقام هاملتون وبكل بساطة برفض الإجابة على السؤال دون أي تعليق (المرجع السابق).

وقام جورج بوش بإعلانها حربا صليبية على الإرهاب، وبدأ بغزو أفغانستان ثم تم ربط هجمات القاعدة مع العراق وتم غزو العراق.

ولكن لم تَعْمد الإدارة الأمريكية ولا بأي حال من الأحوال إلى لجم مشكلة الاحتقان الحقيقية في العالم الإسلامي (وهي جرائم وحماقات إسرائيل). وإنما قام شارون بأخذ الحرب على الإرهاب ذريعة لتبرير انتهاكاته وجرائمه ضد الفلسطينيين.

بل لقد كانت حماقة جورج بوش كاملة عندما ذكرها المتحدث باسمه علانية أن الإدارة الأمريكية ترى شارون رَجُلَ سلام.

وكان غزو الثنائي (إنجلترا وأمريكا) على أفغانستان والعراق، والتواطؤ في حرب لبنان ٢٠٠٦ والتواطؤ في حرب غزة ٢٠٠٩ قد جعل العالم الإسلامي كله يقرر أن الحرب الأطلسية على أفغانستان والعراق إنما هي حرب صليبية وليست حرب مصالح.

ولكن بعد عشر سنوات من الحرب على الإرهاب.... ما الذي حدث؟؟

دعونا نجيب على ذلك بلغة الأرقام:

السنة	الناتج القومي الأمريكي (GDP) (تريليون دولار)	الدين العام الأمريكي (تريليون دولار)	نسبة الدين إلى الناتج
١٩٨٠	٢.٨	٠.٩	%٣٢
١٩٨٤	٣.٩٣	١.٦	%٤٠
١٩٨٨	٥.١	٢.٦	%٥٠
١٩٩٠	٥.٨	٣.٠٢	%٥٢
١٩٩٢	٦.٣٤	٤	%٦٣
١٩٩٦	٧.٨٤	٥.٢	%٦٦
٢٠٠٠	٩.٩٥	٥.٦	%٥٦
٢٠٠١	١٠.٣	٥.٧٧	%٥٥
٢٠٠٤	١١.٨٧	٧.٣٥	%٦١
٢٠٠٨	١٤.٤	٩.٦٥	%٦٧
٢٠١٠	١٤.٧	١١.٨٧	%٨٠
٢٠١١	١٥	١٤.٨٦	%٩٩

(المرجع: Wikipedia: A,B).

(التريليون دولار يساوي ١٠٠٠ مليار دولار).

الآن.... ما هو الدين العام؟؟

عندما تزيد مصروفات الدولة الرأسمالية عن ميزانيتها المعتمدة فإنها تقوم بالاستدانة من السوق (من السوق المحلي والسوق الخارجي). وتتم الاستدانة

بعرض سندات ائتمان على الناس والشركات والبنوك المحلية والخارجية. وتقوم الشركات بشراء هذه السندات. وهذه السندات أشبه ما تكون بصكوك الدين. وتستفيد الشركات من هذه السندات لأن فيها معدل فائدة (ربا).

ما هو الناتج القومي؟

الناتج القومي للدولة هو أحد المقاييس التي تحدد القوة الاقتصادية في الدولة خلال سنة. وهي تمثل القيمة السوقية لجميع البضائع التي تم إنتاجها وجميع المصالح (الخدمات) التي تم تسويقها في الدولة خلال سنة.

انتبه الآن أن الدين العام لأمريكا قد زاد من ١٩٨٠ إلى ٢٠٠١ (٢١ سنة) بحوالي ٤.٨ تريليون دولار وبزيادة ٢٣% فقط من الناتج القومي. ولكن زاد الدين العام في فترة الحرب على الإرهاب من ٢٠٠١ إلى ٢٠١١ (١٠ سنوات) بحوالي ٩ تريليون دولار وبزيادة ٤٤% من الناتج القومي ليصل الدين العام الآن إلى ٩٩% من الناتج القومي.

ومن الممكن القول إن الدين المستخدم للإنفاق المحلي للولايات المتحدة خلال الأحد عشر سنة الماضية هو حوالي ٣ تريليون دولار وذلك من خلال النظر إلى البيانات السابقة. فالدين بين عام ١٩٨٠ و١٩٩٠ كان بزيادة ٢.١٢ تريليون. والدين بين ١٩٩٠ و٢٠٠٠ كان بزيادة ٢.٥٨ تريليون، ولهذا السبب فإنه من الممكن القول أنه لو لم تقم الولايات المتحدة بإشعال الحروب في المنطقة لكان الزيادة في الدين العام من ٢٠٠٠ إلى ٢٠١١ هو بحدود ٣ تريليون دولار ولكان الدين العام الأمريكي في ٢٠١١ قد وصل إلى ٨.٦ تريليون دولار فقط.

وهذا لم يحدث وذلك بسبب المصاريف المتعلقة بحرب أفغانستان وحرب العراق والحرب على الإرهاب. ولهذا السبب فمن الممكن القول إن كلفة هذه

الحروب وانصراف ذهن القيادة الأمريكية والإنجليزية لحل المشاكل الخارجية وإهمال (أو تأجيل) المشاكل الداخلية قد كلف الخزينة الأمريكية حوالي ٦.٢ تريليون دولار (١٤.٨٦ ناقصا ٨.٦ يساوي ٦.٢).

وضمن البيانات الأمريكية الرسمية فإن كلفة الحرب على العراق وأفغانستان هي ١.٣ تريليون دولار. ولكن ضمن تحليلات الأكاديميين فإن كلفة الحرب على العراق وأفغانستان حوالي ٣.٥ تريليون دولار. وأما الباقي (وهو ٦.٢ ناقصا ٣.٥ تساوي ٢.٧ تريليون دولار) فهي كلفة إهمال المشاكل الداخلية:

هناك شركات ضخمة (مثل IBM) توظف في مكاتبها الآلاف والآلاف من الموظفين. ولكن القيادة العامة لهذه الشركة تبقى محدودة (بضعة عشرات على الأكثر). وكذلك الدول فعدد الموظفين في الحكومات الفيدرالية يتجاوز الملايين ولكن القيادة الأمريكية تبقى محدودة بالعشرات. وخلال فترة الحرب على الإرهاب فإن مركز انتباه القيادة الأمريكية كان متركزا تجاه المشكلات الخارجية الملحة: القاعدة، طالبان، باكستان، العراق، إيران، روسيا، الصين.

وكلما زادت غطرسة أمريكا وحماقتها كلما غاصت أكثر في الوحل الخارجي. وهذا أدى إلى عدم قدرة القيادة الأمريكية على متابعة الشأن الداخلي بسبب الانشغال الكبير في الشأن الخارجي. وهذا أدى إلى الإهمال وعدم الاهتمام بالفقاعة الاقتصادية التي بدأت تظهر في أمريكا دون أي رقيب أو حسيب (سوق العقارات والديون الشخصية وجشع البنوك والصناديق المالية).

الـ ٢.٧ تريليون دولار هي في الحقيقة كلفة الإهمال وعدم الانتباه والانشغال في المشاكل الخارجية.

دعنا ننظر إلى ما سبق بإمعان:

إن انهيار سوق العقارات في أمريكا وأزمة الديون الشخصية قد أدت إلى انهيار نظام البنوك والذي أشعل الأزمة الاقتصادية الحالية في العالم. ولكن هذه الأزمة كان يمكن حلها وبسهولة وهدوء وبضخ على الأكثر واحد تريليون دولار إلى النظام المصرفي.

ولو لم تقم الولايات المتحدة بصرف الأموال الطائلة في حرب لا معنى لها لكان توفير هذا التريليون دولار أمرا في غاية السهولة. ولكن بعد أن أسرفت الإدارة الأمريكية في حربها على الإرهاب فإنها لم تستطع توفير المال الكافي لتفادي الأزمة الاقتصادية.

ما الهدف مما سبق؟؟؟

الهدف هو التبيان أنه لو كانت إنجلترا وأمريكا أكثر عدلا وأمانة لما كانت بحاجة أن تُعاني ما تعانيه الآن من إفلاس أخلاقي وحضاري واقتصادي وانشقاقات حقيقية في مجتمعاتهما وجرأة العالم الخارجي عليهما.

والمؤلف يقول: لو كانوا أكثر عدلا وأمانة ولا يقول: لو كانوا عادلين وأمناء. أي أن المؤلف يقول: إنه حتى لو لم تكن أمريكا وإنجلترا عادلين وأمناء وإنما كانوا أكثر عدلا وأمانة لما احتاجوا أن يواجهوا ما يواجهوه الآن.

وأكثر عدلا وأمانة لم يكن ليكلف أمريكا وإنجلترا أي شيء. وكل ما كان مطلوبا منهما هو أن يكونا حازمين مع إسرائيل فيما يتعلق بالجرائم والحماقات المفضوحة والواضحة. وهذا كل ما كان يجب عليهما أن يفعلاه.

ولكنهما لم تفعلا وإنما غضا الطرف عن جرائم إسرائيل ودخلا في حرب علنية مع المسلمين وكانا في غنى عن ذلك تماما. وقد اِلتصقت إسرائيل مع

أمريكا وإنجلترا إلى الدرجة أن أصبحت كل حماقة من إسرائيل هي جريمة إضافية تحسب إلى قائمة الجرائم الإنجليزية والأمريكية تجاه العالم الإسلامي.

وهنا نرجع إلى موضوع انهيار المسجد الأقصى. فإنه ضمن تنامي القوة والذكاء والإرادة عند الشعوب العربية فإن انهيار المسجد الأقصى لن يكون غضبا على إسرائيل فقط وإنما سيكون غضبا ساخطا على الثنائي معا (إنجلترا وأمريكا).

وإذا انهار المسجد الأقصى فإن غلبة الظن أن العالم الإسلامي، وقد وصل إلى مستوى مرتفع من الذكاء والوعي والإرادة، سيرفض كل الشجب والاستنكارات والوعود التي سيطلقها قادة العالم العربي والإسلامي والغربي. وهذا معناه أنه إذا انهار المسجد الأقصى فإن هذا سيضع قاطرة العالم الإسلامي وقاطرة العالم الغربي في خط اصطدام مباشر وحتمي.

إن العالم الإسلامي ليس بحاجة أن ينهار المسجد الأقصى كي يَتحد ويُحرر الأرض. فالعالم الإسلامي يخطو خطوات سريعة ومنذ عام ١٩٦٧ نحو الوحدة والتلاحم. وانهيار المسجد الأقصى سيكون مصيبة للعالم الإسلامي حيث إن للمكان رمزيته التاريخية والروحانية. وكذلك فإن إعادة بناء الأقصى سيحتاج إلى عشرات السنين.

ولكنه كذلك ليس من مصلحة العالم الغربي على الإطلاق أن يسمح بانهيار المسجد الأقصى، بل إنه من الضروري لهم أن يضمنوا سلامة أساسات المسجد. إذ لو انهار المسجد الأقصى فإن هذا سيكون البداية لصراع لا يعرف حدودا ولا يمكن إيقافه أو التحكم في مساره بين العالم الغربي والإسلامي.

وكذلك ليس من مصلحة الأنظمة الحاكمة أن ينهار المسجد الأقصى إذ لو حدث ذلك فإن غضب الشارع العربي سيطالهم قبل أن يطال العالم الغربي.

إن انهيار المسجد الأقصى ليس مصلحة لأحد وإنه ليس من الذكاء أبدا أن يَقبل العالم الغربي أن ينجر إلى صراع شرس مع العالم الإسلامي من أجل حماقات إسرائيلية.

الفصل السابع
القوة المتعاظمة في العالم الإسلامي وزمن التحرير

إن إحدى الأدوات التي يستعملها مدراء التسويق في التنبؤ هي المقاييس الإحصائية واستقراء البيانات. ومن الممكن التنبؤ وبشكل جيد لحجم المبيعات في السنة الحالية والسنة التالية من خلال استقراء الجداول البيانية لمبيعات الشركة في السنوات السابقة. وكذلك فإن استقراء البيانات والمقاييس الإحصائية قادرة على التنبؤ وبشكل مقبول لحجم العجز التجاري ومستوى البطالة وعجز الميزانية وغيره من المعلومات.

دعونا نستخدم منطق الاستقراء للنظر إلى مستقبل المسلمين وذلك بوضع إنجازات المسلمين في السنوات الماضية على خط الزمن:

الفترة الأولى (١٩٦٧ – ١٩٧٧):

في ١٩٦٧ استطاعت إسرائيل أن تنتصر على ثلاث دول عربية وأن تحتل مساحة أكبر من مساحة فلسطين الغربية. وقد وصلت المهانة للدول العربية ذروتها بالقصة التي حدثت مع وفد وزراء الخارجية العرب مع ليندون جونسون (رئيس أمريكا) فقد كان يتناول الطعام معهم وكان كلبه معه فقال له وهو يعطيه قطعة من اللحم الموجودة على صحنه: كل ما شئت يا عزيزي فأنت أفضل مدعو على هذه الطاولة.

ولكن يمكننا أن نقول بحق أن عام ١٩٦٧ كان عام الصحوة. فقد استيقظ المسلمون ذلك العام من سبات طويل جدا. ونستطيع أن نقول كذلك أن الصحوة الإسلامية في الفترة بين ١٩٦٧ إلى ١٩٧٧ كان أكبر بأضعاف من الصحوة الإسلامية من ١٩٢٣ (عام سقوط الخلافة العثمانية) إلى ١٩٦٧.

الفترة الثانية (١٩٧٧ – ١٩٨٧):

وكانت الفترة بين ١٩٧٧ إلى ١٩٨٧ حافلة بالمنجزات. فقد ظهرت الجماعات الإسلامية من المحيط إلى المحيط وسقطت في هذه الفترة جميع المبادئ غير الإسلامية كالمبدأ الشيوعي وأفكار البعث والنظرة القومية والنظرة الوطنية، إلخ.

وفي هذه الفترة كذلك بدأت الانتفاضة في فلسطين وانتشرت حركة جهاد وتأسست حركة حماس واستطاع حزب التحرير نشر فكرة الخلافة عند المسلمين.

وفي هذه الفترة كذلك قامت الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩. ومع أن مذهب الدولة في إيران هو المذهب الشيعي وهو مذهب له مخالفات مع مذهب الأكثرية من المسلمين إلا أن نجاح الثورة الإسلامية في إيران قد وضع السابقة والمثال والصورة الواضحة في الذهن عن مفهوم الدولة الإسلامية.

وفي هذه الفترة كذلك ظهر حزب الله في لبنان عام ١٩٨٢.

وخلاصة الكلام أن الصحوة الإسلامية من ١٩٧٧ إلى ١٩٨٧ كانت أضعاف أضعاف الصحوة بين ١٩٦٧ إلى ١٩٧٧.

الفترة الثالثة (١٩٨٧ – ١٩٩٧):

وكانت الفترة بين ١٩٨٧ إلى ١٩٩٧ منعطفا واضحا في تاريخ المسلمين. ففي هذه الفترة انتصر المسلمون أول انتصار حقيقي لهم وهو الانتصار على روسيا الشيوعية في أفغانستان.

وبالطبع فإن أول انتصار مشهور للمسلمين بعد الـ ٦٧ كان في معركة الكرامة في الأردن عام ١٩٦٨ ولكن هذه كانت معركة واحدة وليست حربا.

وثاني انتصار مشهور للمسلمين هو حرب الـ ١٩٧٣ ولكنه لم يكن انتصارا كاملا أو حقيقيا فقد توقف اندفاع جيش السادات في الضفة الشرقية من قناة السويس مما سمح لإسرائيل أن تتفرغ لسوريا ثم الرجوع إلى سيناء واختراق جيش السادات والالتفاف عليه من ثغرة الدفرسوار والإحاطة بالجيش الثالث. ولكن معركة الكرامة وحرب الـ ١٩٧٣ كانت مفيدة في تحطيم أسطورة الجيش الذي لا يُقهر.

وأما أول انتصار حقيقي للمسلمين فقد كان في أفغانستان عام ١٩٨٨ ضد إحدى الدول العظمي وهو الاتحاد السوفييتي. وهذا ما رفع معنويات المسلمين وشحن نفوسهم، وكانت أحد أهم المشاكل في الأنظمة العربية هو كيفية الإحاطة بالأفغان العرب وهم أولئك العرب الذين قاتلوا مع الأفغان ثم رجعوا إلى بلادهم بأحلام وعزائم. والقاعدة وطالبان اليوم هم في الواقع نتاج الانتصار الأفغاني على روسيا الشيوعية.

وفي هذه الفترة كذلك قامت أول حرب علنية بين المسلمين وأمريكا وهي حرب العراق ١٩٩٠. ومع أن الانتصار كان حاسما للحلفاء في هذه الحرب، إلا أنها قد فتحت أعين المسلمين. فقد أظهرت الحرب أن قوة أمريكا ضخمة ولكنها محدودة. كما كانت هذه الحرب أول فرصة للعالم الإسلامي أن ينتبه لهويته الإسلامية وأن يشعر الناس فيه بالوحدة مع الآخرين كمسلمين. وفي هذه الحرب ظهرت الفجوة بين الأنظمة العربية وشعوبها وكانت هذه الحرب هي السبب في انشقاق الحركة السلفية الجهادية عن الحركة السلفية السعودية.

وفي ١٩٩٦ استطاع نجم الدين أربكان أن يستلم رئاسة الوزراء في تركيا ليكون أول رجل ذي توجهات إسلامية واضحة يستلم هذا المنصب.

وباختصار فقد كانت الفترة بين ١٩٨٧ إلى ١٩٩٧ هي فترة وعي وإدراك وكانت النهضة فيها أضعاف أضعاف النهضة بين ١٩٧٧ إلى ١٩٨٧.

الفترة الرابعة (١٩٩٧ – ٢٠٠٧):

والفترة بين ١٩٩٧ إلى ٢٠٠٧ كانت حافلة بالإنجازات. فقد قامت باكستان بأول تجربة نووية عام ١٩٩٨. وقام حزب الله بإجبار الجيش الإسرائيلي على الانسحاب الأحادي من لبنان عام ٢٠٠٠. وتصدى بنجاح ومهارة للجيش الإسرائيلي عام ٢٠٠٦ وألحق في قواته خسائر واضحة مما أحرج إسرائيل وشحن في النفوس أفكار المقاومة.

وفي هذه الفترة قام الحلفاء (إنجلترا وأمريكا) بغزو العراق عام ٢٠٠٣ ليكتشفوا أنهم وقعوا في مستنقع حقيقي وقد أدت عمليات المقاومة في العراق إلى إفلاس حضاري حقيقي للحلفاء وأزمة مالية وانهيار مصداقية هذه الدول وانهيار مصداقية التهديد (فقد قام الحلفاء وبشكل واضح بالتهديد بضرب إيران بأسلحة نووية تكتيكية وإعلان الحرب عليها ولكن إيران استخفت بهذه التهديدات ولم يقم الحلفاء بتنفيذ هذه التهديدات وهذا في الحقيقة هو ضربة لمصداقية التهديدات). وكذلك فقد فرضت إيران أجندتها ورغباتها على المجتمع الدولي فيما يتعلق ببرامجها النووية.

وفي هذه الفترة قام الحلفاء بغزو أفغانستان عام ٢٠٠١ وقد اكتشف الحلفاء أن غزوهم لأفغانستان قد أدى إلى زيادة مهارة طالبان وأن الحرب هناك هو في الواقع حرب استنزاف، وهم الآن في موقف حرج فهم لا يستطيعون الاستمرار في القتال دون التسبب بأزمة مالية كبيرة لهم ولكن في الوقت نفسه لا يستطيعون

الخروج من هناك خوفا من تشجيع القاعدة لنقل الحرب إلى بلادهم. فالغرب في أفغانستان قد وقع في مستنقع الاستنزاف.

وفي هذه الفترة كذلك استطاعت حماس السيطرة على مقاليد الحكم في غزة.

وفي عام ٢٠٠٧ فاز عبد الله جول برئاسة الجمهورية في تركيا ليكون أول رجل ذي توجهات إسلامية واضحة يقوم هو وزوجته المحجبة بالإقامة في القصر الجمهوري (قصر أتاتورك) في تركيا.

إن ما تحقق للمسلمين في الفترة بين ١٩٩٧ إلى ٢٠٠٧ هو أضعاف أضعاف ما تحقق للمسلمين بين ١٩٨٧ إلى ١٩٩٧.

الفترة الخامسة (٢٠٠٧ – ٢٠١٧):

ونحن الآن في الفترة الخامسة وقد ظهر فيها شيء جديرٌ بالانتباه. ففي عام ١٩٦٧ استطاعت إسرائيل أن تدمر ثلاثة جيوش عربية وأن تفرض عليهم إرادتها. ولكن في عام ٢٠٠٩ لم تستطع إسرائيل أن تفرض إرادتها على غزة واستطاعت غزة المحاصرة الصمود وبنجاح في وجه إسرائيل.

ولكن هذا ليس كل شيء فإن فترة الخامسة بحق هي فترة المعجزات. ففي عام ٢٠١٠ وبسبب غضب شخص اسمه البوعزيزي من إهانة تلقاها من شرطية في تونس فقد قام بحرق نفسه أمام مركز الشرطة مضحيا بحياته من أجل سد الصاع صاعين. ولكن الذي لم يدر بخلد البوعزيزي ولا الساسة التونسيين ولا حتى الساسة الغربيين أن الاحتقان قد وصل إلى مراحل متقدمة في العالم العربي، وأن ما فعله البوعزيزي هو الشرارة التي سَتُشعل هذا الاحتقان. وهذا الذي حدث فقد أدت المظاهرات العارمة والغاضبة في تونس إلى إسقاط نظام

ابن علي في ٢٨ يوما وعندها استجمع الشعب المصري قوته وثار على نظام حسني مبارك ليسقط حسني مبارك في ١٨ يوما. وقد أدت هذه الثورات إلى إشعال الثورة في ليبيا واليمن وسوريا والبحرين.

وهذه بحق فترة المعجزات ولم يكن لأحد في العالم العربي ولا في العالم الغربي ولا في أي مكان في الأرض أن يتنبأ بهذه الأحداث.

الآن... ضمن الاستقراء السابق فإن الملاحظ أن قوة المسلمين تزداد زيادة تعاظمية وليست حسابية من فترة إلى أخرى. بمعنى أن زيادة القوة والمهارة والذكاء والانضباط والإرادة في فترة هو أضخم بكثير من جميع الفترات التي سبقتها مجتمعة.

وهنا يجب الانتباه أن الفترة الخامسة لم تنته بعد فهناك ما زال ست سنوات لانتهائها. وضمن النظر إلى الخط البياني لقوة المسلمين عبر الزمن منذ ١٩٦٧ وحتى الآن فإن غلبة ظن المؤلف أن المعجزات لم تنته بعد من هذه الفترة، وإنه إذا لم يتم تحرير الأقصى في هذه الفترة فإن غلبة الظن (ضمن النظر إلى الخط البياني) أن التحرير سيكون في منتصف الفترة السادسة (٢٠١٧-٢٠٢٧) على الأكثر.

وللأمانة فإن ما سبق يُوافق تخمين "بسام جرار" ضمن دراسة له لسورة الإسراء في عام ١٩٩٢. وقد استنتج في هذه الدراسة أن تحرير فلسطين سيكون في ٢٠٢٢. وهذا أمر سيتم نقاشه مرة أخرى لاحقا.

وبمقارنة ما سبق مع العالم الغربي فإننا نستطيع أن نقول إن العالم الغربي في نزول إلى نزول بالنسبة إلى الانضباط والإرادة والانسجام الاجتماعي. فنشر العلمانية والإلحاد في المجتمع قد خفف وبشكل كبير من نعرة العنصرية في العالم الغربي ولكن في نفس الوقت فقد قام الإلحاد بإضعاف الروح الوطنية

والترابط العائلي. وكذلك فقد قام الغرب بتشجيع الإسراف والاستمتاع الرخيص كأحد أدوات محاربة الشيوعية. ولكن الإسراف إذا ظهر في مجتمع فإنه من الصعوبة جدا أن يبرأ المجتمع منه.

وإذا انتبه القارئ إلى مستوى الانضباط والإرادة في الجيش الأمريكي في العراق فقد كان مستوى في غاية الحضيض ولولا التكنولوجيا المتقدمة التي عندهم لما بقوا طوال هذا الوقت في العراق. وإذا نظرنا بحق فلقد ألحقت المقاومة العراقية والأفغانية ضربة مؤلمة للجيش الأمريكي وهيبته وثقته بنفسه.

وهنا مشكلة العالم الغربي إذ إن صفات الانضباط والإرادة والاتزان (عكس الإسراف) هما صفات ليس من السهل زرعها في المجتمع. وأي مجتمع فَقَدَ هذه الصفات فمن الصعب جدا عليه إرجاعها.

الفصل الثامن - اليهود والذكاء الجماعي

اليهود في فلسطين وخارجها كأفراد لهم نفس مستوى الذكاء كما باقي البشر. والذكاء هنا هو قوة الربط والتحليل. ففي كل مجتمع إنساني هناك أفراد في غاية الذكاء وهناك أفراد ذوي ذكاء متوسط وهناك أفراد ذوي ذكاء منخفض. ونسبة هؤلاء في جميع المجتمعات متساوية على التقريب.

انتبه هنا..... مستوى الثقافة والعلم والخبرة يختلف من مجتمع إلى آخر. فمستوى الثقافة والعلم والخبرة في هولندا يختلف تماما عن مستوى الثقافة والعلم والخبرة في قبيلة منسية في وسط أفريقيا. ولكن مستوى الذكاء (قوة الربط والتحليل وبشكل مجرد) بين الناس في هولندا وبين الناس في تلك القبيلة المنسية هي واحدة.

وكذلك الحال عند بني إسرائيل. فهناك أفراد ذوي ذكاء مرتفع وهناك أفراد ذوي ذكاء عادي وهناك أفراد ذوي ذكاء منخفض وبنفس النسبة كما باقي البشر.

ولكن مستوى الذكاء الجماعي في إسرائيل منخفض جدا، إذ إن الذكاء الجماعي يضمحل تماما في أي مجتمع يكون بأسهم بينهم شديدا، وهي صفة غلبت على اليهود في كل تاريخهم، وللتذكير فإنهم عندما نجحت ثورتهم ضد الرومان عام ٦٥ ميلادية قد انشغلوا مباشرة بعدها باغتيال بعضهم بعضا حتى جاء الرومان إليهم وأنهوا أمرهم. واليوم تجد الأحزاب الإسرائيلية يلعن بعضهم بعضا، ولولا الرعب من جيرانهم لقامت بينهم الحروب الأهلية:

لقد قيل إن حرب الـ ١٩٤٨ بين إسرائيل والعرب قد تمت لتنفيس الغضب العربي. ولكن هذا ليس كل شيء. فالإنجليز (والذين كانوا قادة الجيش العربي ذلك الوقت عن طريق جلوب باشا) أرادوا أن يضعوا حدودا لدولة إسرائيل، فهم

من أول أَمْرِهم أرادوا إسرائيل أن تكون حرس حدود لإنجلترا وليس شريكا لإنجلترا. ولهذا السبب كان تقدم الجيش العربي داخل فلسطين هو وضع للحدود بين فلسطين الشرقية وفلسطين الغربية.

وكذلك فإن الحرب عام ١٩٤٨ قد أعطت العذر المحلي والشعبي لـ بن جوريون لتوحيد العصابات الإسرائيلية وضمهم بالقوة إلى الجيش الإسرائيلي، إذ إن الشيء الوحيد الذي اتفق عليه اليهود في فلسطين هو خوفهم من جيرانهم.

وهذه هي النقطة.....يوجد هناك نفور وصراع سياسي حقيقي بين الأحزاب الإسرائيلية (عمل وليكود وكاديما وغيرهم). وكذلك يوجد نفور وصراع حقيقي بين الأصول اليهودية المختلفة (أشكناز وسفارد وفلاشا وأصول أخرى غيرهم). وهناك صراع حقيقي بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل. وحتى المذاهب الدينية عندهم فهناك صراع ونفور حقيقي بينهم.

ولهذا السبب فلا يمكن أن يتم وصف اليهود أنهم ذوو ذكاء جماعي مرتفع وإنما العكس هو الصحيح والذي يدل على ذلك هو مستوى الحماقات الإسرائيلية المتكررة. وإذا انتبه القارئ فإن العالم الإسلامي قد بدأ يتحد ويلتحم بسبب هذه الحماقات. وإذا انتبه القارئ أكثر فسيجد أنه عندما كانت فلسطين تئن فإن العالم الإسلامي كان يثور من إندونيسيا إلى موريتانيا.

ولهذا السبب فلا يمكن القول إن دولة إسرائيل هي دولة ذات ذكاء. إذ إن ذكاء الدولة يتطلب مستوى مرتفعا من الذكاء الجماعي. بمعنى آخر فإن ذكاء الدولة يتطلب تنسيقا وانسجاما وتوافقا بين إدارات الدولة المختلفة. وهذا التنسيق والانسجام والتوافق قد تم تسميته هنا بالذكاء الجماعي (وهذا الموضوع مشروح بتفصيل في كتاب سابق: النهضة والذكاء الجماعي).

وهنا النقطة.... إسرائيل هي دولة ليست ذات ذكاء وإنما دولة ذات حماقة. والأدلة على ذلك واضحة وقد تم تكرارها مرات ومرات عدة في سطور هذا الكتاب: فقد سيطر الرومان على نصف العالم القديم وقد سيطر المغول على النصف الآخر وقد حكم الإنجليز الصين بعشرين الف جندي وقد حكم الإنجليز الهند بمئة ألف جندي. ولكن اليهود الآن لا يستطيعون الاتفاق على كيفية حل مشاكل جوهرية مصيرية حقيقية تهدد وجودهم في فلسطين.

ولهذا السبب كانت وجهة نظر المؤلف أن إسرائيل ليست ذات ذكاء وإنما ذات حماقة. ولكن نستطيع القول إن إسرائيل هي ذات خبث. وهذا القول صحيح تماما. وإذا انتبه القارئ فإن الخبيث في أكثر الأحيان لا يكون شخصا ذكيا.

وهنا يأتي سؤال.... ما هو الفرق بين الخبيث والذكي؟؟

الخبيث هو الذي يصل إلى مصالحه ويكيد لخصومه دون أن يهتم بمصداقيته. فالخبيث يستخدم الكذب الصريح والخيانة والنميمة لشق صفوف الآخرين وللوصول إلى المصلحة.

وأما الذكي فهو الذي يصل إلى مصالحه ويكيد لخصومه وينتصر عليهم دون أن يضرب مصداقيته. فالمصداقية عند الذكي هي كنز يجب المحافظة عليه. وأما المصداقية عند الخبيث فهي عبء لا فائدة منها.

وهذا هو الفرق بين الخبيث والذكي. وتاريخ بني إسرائيل فيه أمثلة كثيرة عن خبثهم الشديد. ولهذا السبب فتاريخ بني إسرائيل كان دائما ينتهي بالخسارة؛ لأن الخبيث قد يكسب في بعض المراحل ولكن حتمية قوانين الكون تفرض على الخبيث النهاية المريرة، وذلك لأن الخبيث يضرب مصداقيته، ومن يفقد المصداقية سيجد الجميع في النهاية قد تحالفوا ضده ولفظوه.

وهذا هو السبب في القول إن الخبيث ليس شخصا ذكيا وإنما هو شخص يستغل أعراف الآخرين حتى ينكشف أمره وينهار. وهذا ما حصل في كيانات بني إسرائيل السابقة وهذا ما يحصل الآن لكيان بني إسرائيل الحالي.

وهنا قد يكون مناسبا ذكر بعضٍ من حماقات إسرائيل الصارخة:

إن حماقات نتنياهو هي بنفس مستوى حماقات بن جوريون ومناحيم بيجن وجولدا مائير. ولكن حماقات إسرائيل ما قبل ٢٠٠٦ كان تأثيرها ضئيلا حيث إن شعوب العالم الإسلامي والعربي كانوا في غاية الضعف والانقياد. ولكن منذ عام ٢٠٠٦ وشعوب العالم الإسلامي والعربي قد وصلوا إلى مرحلة متقدمة من الوعي والذكاء والإرادة فأصبحت حماقات إسرائيل مؤثرة جدا عليهم (على إسرائيل).

وبالإمكان كتابة مجلدات عن الحماقات الإسرائيلية منذ ١٩٢٠ وحتى الآن. وبنو إسرائيل لم يكونوا بحاجة أن ينتهكوا أعراف الحروب ولم يكونوا بحاجة أن يقترفوا الجرائم ولكنهم فعلوا وقد سُجلت هذه الجرائم بالشهادات والصور وأشرطة الفيديو. ومن ينظر مثلا إلى المجزرة التي ارتكبها اليهود في جنين (٢٠٠٢) وينظر إلى أشلاء ورؤوس الأطفال والنساء المدفونة في الحطام فإن المرء سيتساءل حقا إن رجعت القوة للمسلمين هل سيكون عندهم صفة التسامح؟

وهذا يُرجعنا لقول الله تعالى لبني إسرائيل: " إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا " (٧ - الإسراء).

على أية حال وفي سبيل هذه المقالة سنستعرض بعضا من أشهر الحماقات الإسرائيلية منذ عام ٢٠٠٦:

١- هناك عادة حمقاء استخدمتها القيادات الإسرائيلية عبر العقود كمحاولة من محاولات زرع الفتنة بين القيادات العربية. وهي عادة حمقاء؛ لأنها قد تنجح بعض الوقت ولكنها تضرب تماما المصداقية: فعندما قام بيجن بقصف المفاعلات العراقية في ٧ يونيو ١٩٨١ فإنه قبل ثلاثة أيام فقط من هذه العملية كان بيجن والسادات في شرم الشيخ في اجتماع تلاه مؤتمر صحفي مشترك. وكان الإيحاء الذي أراد بيجن أن يذيعه أن السادات كان على عِلم بأمر القصف.

وعندما قام نتنياهو بافتتاح النفق أسفل المسجد الأقصى عام ١٩٩٦ والتي تسببت بانتفاضة فلسطينية وإسلامية عارمة فإن أحد مساعدي نتنياهو الكبار (Dore Gold) كان قد اِلتقى الملك حسين قبل بضع ساعات فقط من افتتاح النفق مما أعطى الإيحاء أن الملك كان على اطلاع بهذا الأمر.

وعندما قام شارون باغتيال أحمد ياسين في ٢٢ مارس ٢٠٠٢ فقد كان هناك اجتماع بين الملك عبد الله وشارون قبلها بخمسة أيام فقط لمناقشة الانسحاب الإسرائيلي الأحادي الجانب من غزة مما أعطى الإيحاء أن النظام الأردني كان على علم بهذا المخطط.

وقبل عملية قصف غزة (٢٧ ديسيمبر ٢٠٠٩) بأربعة أيام فقط كان إيهود أولمرت في زيارة إلى تركيا وقاد أوردغان وقتها عملية مفاوضات غير مباشرة بين أولمرت وبشار الأسد تم وصفها تلك الأيام بالناجحة. ولكن كانت عملية ضرب غزة مفاجئاً تماما للأتراك. والإيحاء الذي أراده اليهود هنا واضح وهو خلق الإشاعة أن الأتراك كانوا على علم بعملية الغزو الإسرائيلية لغزة.

ولكن هنا ضَرَبَت إسرائيل نفسها وبدأت بشرب كؤوس خُبثها. فتركيا ليست كباقي الدول، فهي دولة مؤسسات ذات استقلالية عالية وكلمة مُؤثرة. وبالطبع فإن الإسلاميين كانوا ضد إسرائيل قلبا وقالبا ولكن ما يشفع لإسرائيل في تركيا

هم الطبقة العِلمانية. ولم يُحبذ الإسلاميون أن يواجهوا العلمانية في هذا الأمر، وهذا ما جعل أوردغان يقوم بخلق علاقات طيبة مع القيادات الإسرائيلية. ولكن الخبث الأحمق لأولمرت قد جعل السياسيين العلمانيين في تركيا ينضمون إلى الإسلاميين فيما يتعلق بإسرائيل، فتصرف أولمرت لم يتم اعتباره أنها إهانة لأوردغان ولا إهانة للإسلاميين بل تم اعتباره أنها إهانة لتركيا نفسها. ومنذ تلك اللحظة اتفق العلمانيون والإسلاميون على إعطاء أوردغان اليد الحرة للتعامل مع إسرائيل بالطريقة التي يراها هو مناسبة. وتلك كانت خطوة حمقاء حقيقية من إسرائيل لأنها استبدلت صديقا قَيِّماً لها بعدو مرير.

٢- في ١٣ يناير ٢٠١٠ قام مسؤولو وزارة الخارجية الإسرائيلية بحماقة لم يقم بها أحد من قبل في عالم الدبلوماسية الحديثة. فقد أحضروا السفير التركي وجعلوه ينتظر في ردهة أمام الصحفيين. ثم أدخلوه وأجلسوه على مقعد منخفض. وعلى عكس الأصول الدبلوماسية فقد تم وضع علم إسرائيل وحدها على الطاولة. وكان الداعي لذلك هو احتجاج إسرائيل على مسلسل تلفزيوني تركي يتعرض بإسرائيل. ثم قام نائب وزير الخارجية الإسرائيلي بتنبيه الصحفيين (باللغة العبرية) لتصرفاته وأنه رفض مصافحة السفير وأنه أجلسه على كرسي منخفض.

الآن..... هناك أكثر من أسلوب لإرسال رسائل غاضبة بين الدول ولكن حتى أكثر الدول حماقة لم تقم بما قامت به إسرائيل. إن حماقة أولمرت السابقة الذكر قد بدأت بشق العلاقة الطيبة التي كانت تربط بين السياسيين الإسرائيليين والسياسيين الأتراك. ولكن هذا التصرف من وزارة الخارجية الإسرائيلية قد وحد جميع الأطياف التركية ضد إسرائيل. وقد قامت جميع الأطياف التركية من علمانيين وإسلاميين وغير مسلمين بشتم إسرائيل علنا أمام الملأ. وتلك كانت نقطة مفصلية في علاقة إسرائيل مع تركيا.

وعلى غلبة ظن المؤلف فإن ما حدث كان مكيدة من ليبرمان (وزير الخارجية الإسرائيلي) ليهودا باراك (وزير الدفاع الإسرائيلي). فقد كان مقررا أن يقوم باراك بزيارة رسمية إلى تركيا بعد خمسة أيام من هذه الحادثة وكان مقررا أن يلتقي مع رئيس الوزراء التركي (أوردغان) والرئيس التركي (عبد الله جول) كمحاولة إسرائيلية لإنهاء الخلافات الإسرائيلية التركية. ولكن ما قام به نائب وزير الخارجية الإسرائيلي قد أطاح بجميع آمال باراك في هذا الخصوص. ولهذا السبب فيمكن القول إن ما حدث هو تصفية حسابات بين ليبرمان وباراك. ولكن حتى وإن صح هذا التحليل فإن هذه حماقة كبرى من إسرائيل، حماقة لا تجاريها أي حماقة أخرى.

٣- في ٣١ مايو ٢٠١٠ قامت وحدة كوماندوز إسرائيلية باقتحام سفينة مرمرة التركية (وهي ضمن أسطول الحرية المتجه إلى غزة) في المياه الدولية. وتسببت عملية الاقتحام بمقتل تسعة وفقدان ثلاثة وجرح العشرات.

وهذه كانت حماقة كبرى وزاد عليها أن نتنياهو وباراك قاما بتهنئة وحدة الكوماندوز ومصافحة أعضائها. ولكن عواقب ما حدث في سفينة مرمرة كانت وخيمة على إسرائيل:

فقد أعطى التصرف الحازم للقيادة التركية تجاه إسرائيل زخما ضخما لأوردغان وحزبه أمام الأتراك. وقد ساعد هذا الزخم أن يقوم الشعب التركي بالتصويت بالإيجاب لمقترحات أوردغان في موضوع التعديلات الدستورية. وكذلك فقد أظهر هذا التصرف أوردغان أنه رجل دولة عالمي مما مكنه لاحقا من الفوز وبأغلبية كبيرة في الانتخابات البرلمانية.

وكذلك فقد أعطى هذا التصرف الإسرائيلي لتركيا العذر الكافي لها محليا ودوليا لقطع الصلة بين تركيا وإسرائيل. وكذلك فقد اضطر العالم الغربي ولأول

مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي أن ينظر وبجدية إلى هذه الحادثة، حيث إن هذه الحادثة متعلقة بطرف مُدلل (إسرائيل) مع طرف آخر يريد الجميع أن يحافظوا عليه (تركيا). وبسبب تأثير تركيا على السياسة الدولية فقد استطاعت تركيا وبحق ضرب المصداقية الإسرائيلية والذي أدى بعد أشهر من المفاوضات غير المباشرة بين تركيا وإسرائيل على قيام تركيا بطرد السفير الإسرائيلي من أنقرة ولخفض مستوى التمثيل الدبلوماسي بينها وبين إسرائيل.

كل الحوادث السابقة لم تكن إسرائيل بحاجة أن تقترفها. ولم يكن هناك مصلحة حيوية لإسرائيل يجبرها أن تفعل ما فعلته، ولكنها الحماقة الإسرائيلية.

انتبه الآن ..... الحماقة الإسرائيلية متعلقة بالعمل السياسي وليس العمل التقني:

ربما يكون نتينياهو من أذكى الشخصيات في العالم وربما يكون إيهود باراك عبقريا في التخطيط، وهذا غير مستبعد ولكن المهارة السياسية للدولة تتعلق بانسجام الأجهزة القيادية والسياسية في الدولة وتعاونهم فيما بينهم وقدرتهم على اتخاذ قرارات ذكية فيما يتعلق بإستراتيجيات الدولة. وهذا يتطلب ذكاء جماعيا عاليا من الأجهزة القيادية والسياسية في هذه الدولة.

ولكن إذا كان هناك فريق إداري يتميز جميع أعضائه بالذكاء الحاد والعبقرية في التخطيط ولكن كانت قلوب هؤلاء الأعضاء شتى، وبأسهم بينهم شديد، وكانوا يتعاملون فيما بينهم بالتعالي والمكابرة والغطرسة، وكل واحد منهم يسعى لإحراج الآخر، فإن هذا الفريق الإداري بمجموعه هو فريق أحمق وكل قراراته الجماعية ستكون حمقاء.

وهذه هي النقطة المهمة في هذه المقالة..... حماقة إسرائيل متعلقة بالقرارات السياسية والإستراتيجية وذلك لأن الانسجام بين أعضاء الفريق

القيادي والسياسي منعدم، والغطرسة والمكابرة فيما بينهم تأخذ حيزا ضخما من مناوراتهم.

وأما المقدرة التقنية الإسرائيلية فهي بلا شك مرتفعة حيث إن جميع الجامعات العالمية الغربية مفتوحة للطلاب الإسرائيليين وجميع الدورات التقنية متوفرة لهم ولهذا السبب فمن غير المستغرب أن تكون إسرائيل ذات مقدرة تقنية عالية.

ولكن كما قالها نابليون: "إن جيشا من أسود يقودهم غزال ليس جيشا من أسود". وكذلك فإن فريقا من عباقرة يقودهم قرد ليس فريقا عبقريا.

وهذه النقطة الأساسية ..... القيادة السياسية في إسرائيل تتصف بالحماقة وليس لغباء أفرادها أو لتخلف علومها وإنما لأن قلوبهم شتى وبأسهم بينهم شديد.

وهناك سبب آخر لحماقة القرارات السياسية التي يتخذها النظام الحاكم في إسرائيل وهو الاستهتار بالحاضر والثقة العمياء بالمستقبل. فاليهود يظنون أنهم شعب الله المختار ولهذا السبب فمهما فعلوا ومهما أخطأوا فإن السماء ستنقذهم.

وهناك فرق بين من يأمل الخير في المستقبل وبين من وضع المستقبل كله في جيبه. وهناك فرق بين من يَعقلها ويتوكل وبين من يظن أن له واسطة كبيرة في السماء وأنه لن يخسر. وقد قال الله تعالى: "أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ" (٩٩ - الأعراف).

وهذا هو السبب الذي لا تستطيع القيادات الإسرائيلية أن تنتبه أو تهتم لإشارات الانهيار لدولتهم.

وانهيار إسرائيل ضمن النظرة إلى التاريخ هو حتمي. فإسرائيل تعيش في محيط معادي، وهذا المحيط المعادي يزداد قوة في الذكاء والانضباط والإرادة والمقدرة، وهي (إسرائيل) تزداد ضعفا على ضعف في المهارة والانضباط والإرادة. وحلفاؤها (حلفاء إسرائيل) مشغولون بمشاكل اقتصادية وعالمية ستجبرهم عاجلا أو آجلا على عدم التدخل. وضمن النظرة إلى التاريخ فإن احتمالية زوال مثل هذه الدولة (إسرائيل) مرتفعة جدا، ومع هذا فإن إسرائيل لا تزال تتصرف بحماقة وكأنها لم تقم أبدا بقراءة التاريخ.

وهنا النقطة في هذه المقالة ..... الذكاء الجماعي في إسرائيل منخفض جدا؛ وذلك لأن قلوبهم شتى وبأسهم بينهم شديد وغطرستهم وتكابرهم في غاية العلو.

الفصل التاسع - اليهود والماسونية

هناك ادعاء يقول إن الماسونية أصلها يهودي وإن اليهود هم من خلقوها وهم من يُسيطر عليها. وضمن وجهة نظر المؤلف فإن هذا الادعاء هو أبعد ما يكون عن الحقيقة.

وبالطبع فإن أصل الماسونية ما زال غامضا ولكن من المعلومات المتوفرة فإنه من الممكن القيام بتخمين جيد:

بدأت معالم النهضة تظهر في أوروبا منذ عام ١٤٠٠ ميلادية. وفي مراحل هذه النهضة بدأ يظهر الصراع بين الدولة والكنيسة، والصراع بين العلمانية والتدين، والصراع بين الإقطاع والعوام، إلخ. وكذلك في هذه الفترة ظهرت علامات الإبداع والإتقان في العلوم والرياضيات والعمارة والفنون وغيرها.

وفي خضم هذا الإبداع والصراع فإنه من الطبيعي أن تنشأ الأحزاب العامة والنوادي الخاصة بالضبط كما هو حاصل الآن في العالم.

الآن.... هذه النوادي الخاصة كانت متعددة فمنها السياسي ومنها العِلمي ومنها العلماني ومنها الحِرَفي. وكان أحد النوادي الخاصة هو الماسونية (Freemason) ومعناها المباشر هو "البناؤون الأحرار". وهذا النادي كان ناديا حِرَفيا في بدايته يجمع بين البنائين (وهم المهندسون المعماريون والمهندسون المدنيون ذلك الوقت) وبين كبار الإقطاعيين الذين عندهم الاهتمام بالبناء والعمارة.

انتبه أن عصر النهضة كان عصر الإنشاءات الضخمة من الكنائس والقصور والتي كان يقودها الإقطاع في أوروبا. وكان من الطبيعي ظهور نادٍ خاص يجمع بين الإقطاع والبنائين المهرة.

على أية حال فإن هذا النادي قد بدأ ينتقل من ناد حِرَفي خاص يجمع بين الإقطاع والبنائين إلى ناد اجتماعي علماني خاص، يجمع بين المال والسلطة. بمعنى آخر فقد أصبح ناديا يجمع بين أصحاب المال وأصحاب المناصب الرفيعة. وهو ليس النادي الوحيد ولا هو الأكثر تأثيرا في أوروبا وإنما كان النادي الأكثر شهرة.

ولكن الماسونية لم تكن ناديا موحدا وإنما كل دولة وكل عاصمة وكل مدينة كبرى كان لها ناديها الماسوني الخاص. وفي عام ١٧١٧ تم توحيد النوادي الماسونية في إنجلترا تحت مظلة واحدة.

وعلى غلبة ظن المؤلف فإن الدبلوماسية والمخابرات الإنجليزية قد وجدت في الماسونية أداة مناسبة للتغلغل وإحكام السيطرة على مستعمراتها. فمفاهيم الماسونية تبدو بريئة وبعيدة عن السياسة والدين، وهو مجلس يجمع بين كبار القوم والمؤثرين في المستعمرات. فكانت الماسونية وسيلة جيدة للمخابرات الإنجليزية أن يراقبوا عِلْيَةَ القوم ويروضوهم ويختاروا منهم الأكثر فائدة لهم. وهذا هو السبب في شدة انتشار الماسونية في المستعمرات الإنجليزية بما فيها أمريكا نفسها إذ يوجد حوالي مليونين عضو في المحفل الماسوني الأمريكي.

وأحد القرائن للدلالة على ارتباط الماسونية مع المخابرات الإنجليزية هو عبارة قالها بيتر رايت (Peter Wright) في كتابه "صائد الجواسيس" (Spycatcher) لَمَّحَ فيها إلى مدى تغلغل الماسونية في جهاز المخابرات الإنجليزية، وذلك في الفصل الرابع من الكتاب حيث ذَكَرَ فيه أنه في نهاية المقابلة التي أجراها للعمل فإن أحد مدراء الاستخبارات الإنجليزية قام بمصافحته بطريقة ماسونية واضحة، وهنا أدرك السبب الذي جعل والده (وهو

ماسوني) يَحُضه على الانضمام للماسونية عندما علم (والده) أنه (بيتر) سَيَعمل في الاستخبارات.

وكذلك توجد تقارير صحفية كثيرة عن مدى تغلغل الماسونية في أجهزة الأمن الإنجليزية (ضع في مولدات البحث العبارة التالية:(UK Police Freemason).

وبالطبع هناك من يتساءل عن سر الرموز التوراتية في الطقوس الماسونية. ولكن هذا الأمر ليس عجيبا، ففرسان الهيكل (Knight Templar 1119م – 1314م) هم جماعة صليبية بدأ وجودها منذ الاحتلال الصليبي لفلسطين واستمر وجودها في أوروبا عشرات السنين بعد التحرير. وكانت عندهم طقوس توراتية، بل إن اسمهم (فرسان الهيكل) يرمز وبشكل صريح لهيكل سليمان. وهناك نظريات تربط أصول الماسونية بفرسان الهيكل.

وقد كان عصر النهضة (١٤٠٠ إلى ١٧٠٠) عصرا ممتلئا بالطقوس والرموز المختلفة. وأفضل الأمثلة على ذلك هو كنائس العصور الوسطى، وأفضل مثال لهذه الكنائس هو كنيسة جون في مالطا (St. John's Cathedral) حيث إن كل بلاطة وكل لوحة وكل جدار يحتوي على رموز لِمعانٍ مختلفة.

وفي عصر العلمانية في أوروبا (١٧٠٠ إلى الآن) فإن الشغف للرموز ومعانيها لم يتغير وإنما تغيرت الرموز من رموز مسيحية إلى رموز علمانية وأوكالتية (Occultism).

وقد تم ترجمة "Occult" على أنها علم السحر والتنجيم ولكن هذه الترجمة غير دقيقة، ولهذا فضل المؤلف أخذ الكلمة بأصلها الأجنبي وهو الأوكالت. وأبسط تعريف للأوكالت أنها مدرسة اهتمت بكشف الرموز، وآمنت بقوة تأثير هذه الرموز على حياة الناس، وبقدرة هذه الرموز على التنبؤ بالمستقبل. وقد

تـأثرت هـذه المدرسـة أول أمرهـا بالفلـسفات الهيرمـسية (Hermeticism) وهـي فلسفات يونانية قديمة.

وقد تشعبت هذه المدرسة إلى مدارس ودِراسات مختلفة منها دراسة التنجيم وهو النظر في أشكال النجوم وملاحظة رموزها وعلاقة هذه الرموز بحياة البشر، ودراسة الطقوس والرموز الوثنية القديمة، ودراسة الألكامي (Alchemy) وهو محاولة تحويل المعادن إلى ذهب والبحث عن شراب الخلود، ودراسة التنويم (Hypnosis)، ودراسة القدرات غير العادية (Extra-Sensory Perception)، ودراسة التصور المبدع (Visualization)، والتنبؤ بالمستقبل عن طريق الرموز الموجودة في الكتب القديمة، الخ.

وربما يستغرب القارئ أن نيوتن (Isaac Newton) المشهور بالعبقرية في الرياضيات والفيزياء كان منشغلا في دراسة الأوكالت أكثر بكثير جدا من دراسة الفيزياء. وكان أحد أبحاثه هو دراسة لهيكل سليمان، ومحاولة التنبؤ بالمستقبل عن طريق تحليل الرموز في الإنجيل واستخراج أنماط رياضية منها (من الإنجيل) تساعده في عملية التنبؤ. وكذلك قام بدراسة الألكامي في محاولة منه للبحث عن شراب الخلود (Elixir of life) وتحويل المعادن إلى ذهب (ضع في مولدات البحث عبارة: Isaac Newton and Occult).

انتبـه الآن ..... قيـام نيـوتن بتمحـيص المؤلفـات اليهوديـة الأصـلية لدراسـة هيكل سليمان كان في حوالي عام ١٧٢٠ وهو وقت كان اليهود فيه بعيدين تماما عن مواقع التأثير في أوروبا.

وضـمن دراسـة الأوكالـت قـام المثقفـون الأوربيـون وقتهـا بدراسـة الكتـب اليهودية ودراسة الكابالا (Kabbalah) وهي فلسفات وضعها بعض أحبار اليهود في القرن الثاني عشر تتعلق بعلاقة الإنسان مع الكون. ومن هذه الدراسات

دخلت بعض الرموز التوراتية إلى النوادي الخاصة (كالماسونية). ولكن الكابالا كانت جزءا صغيرا من دراسة الأوكالت عند المثقفين الأوروبيين وأما الدراسة الأكبر فكانت للثقافة اليونانية القديمة.

وهنا النقطة..... وجود بعض من الرموز التوراتية لا يعني أن الماسونية أصلها يهودي.

وهنا توجد نقاط فرعية يجب توضيحها:

* ما الفرق بين الألكامي والكيمياء؟

أصل كلمة ألكامي هي كيمياء. وقد انقسم علم الكيمياء عند العرب إلى نوعين: الأول وهو الذي يبحث عن شراب الخلود والقوة الخارقة والقدرة على تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب. والثاني وهو الكيمياء العَمَلِيَّة مثل صناعة الصابون والمحروقات والدواء وغيرها. ولم يضع العرب المصطلحات التي تفرق بين هذين العِلمين. وعندما بدأ الغرب بترجمة المؤلفات العربية فقد تم تسمية العلم الأول بالألكامي (Alchemy) وتم تسمية العلم الثاني بالكيمياء (Chemistry).

* هل دراسة التنويم والقدرات غير الطبيعية والتصور المبدع هي دراسة أوكالتية؟؟

الجواب هو لا. الأوكالتية ليست منهج بحث ولا طريقة تحليل وإنما مدرسة تؤمن بقوة الرموز وتبحث عنها. وضمن دراسات هذه المدرسة فإنها انتبهت لظاهرة التنويم والتصور المبدع والقدرات غير الطبيعية وقامت بدراستها من منظورها الخاص. ولكن الدراسات الحالية الآن للتنويم والتصور المبدع

والقدرات غير الطبيعية هي دراسات فلسفية منهجية صرفة وليس لها علاقة بالأوكالت.

بمعنى آخر، فإن أول من انتبه إلى تقنيات التصور المبدع وتقنيات التنويم كانت المدرسة الأوكالتية ولكن التصور المبدع نفسه هي ظاهرة يتم الآن دراستها فلسفيا وعلميا وبعيدا عن رمزية الأوكالت.

* هذا الكتاب يستخدم القرآن في محاولة تخمين المستقبل. فهل هذا العمل يندرج تحت الدراسة الأوكالتية؟؟

الآن..... إذا فرضنا أن المؤلف في شرحه لقول الله تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إسرائيل فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا" قد ذَكَرَ أن كلمة "قضينا" ترمز إلى كذا وأن عدد أحرفها هو خمسة وهذا يرمز إلى كذا وأن كلمة علو هي الكلمة رقم ١٢ في الآية وأن هذا يرمز إلى كذا. وبعدها قام المؤلف باستنباط أنماط رياضية من هذه الرموز واستخدمها لتخمين المستقبل فإن هذه الدراسة تكون دراسة أوكالتية.

ولكن ما فعله المؤلف في هذا الكتاب فهو شرح النص لغويا وربطه بالواقع الحالي لتخمين المستقبل، وهذه دراسة فلسفية وليست أوكالتية، أي أن المؤلف لم يقم باستخراج رموز مخفية في النص وإنما قام بشرح النص وبشكل لغوي وربطه بالواقع وهذه ليست أوكالتية.

انتبه هنا ..... المؤلف لا ينتقد الدراسات الأوكالتية. وبعض الدراسات الأوكالتية مثيرة للاهتمام منها دراسة قام فيها "بسام جرار" عام ١٩٩٢ باستخلاص أنماط رياضية من سورة الإسراء والتخمين أن تحرير فلسطين سيكون في عام ٢٠٢٢ وهي دراسة ذكية جدا ومثيرة للانتباه وجديرة بالقراءة (ضع في مولدات البحث عبارة: بسام جرار ونهاية إسرائيل).

رجوعا إلى موضوع المقالة.... فإن النوادي الماسونية قد نشأت قديما (حوالي ١٤٠٠) في أوروبا ثم ظهرت بشكل واضح في أواسط الـ ١٦٠٠ ثم تم توحيد هذه النوادي في إنجلترا في عام ١٧١٧ ثم لتتحول (على غلبة الظن) إلى أحد أدوات المخابرات الإنجليزية منذ بدايات الـ ١٨٠٠.

ويجب الانتباه هنا أن الماسونية في أوروبا مستقلة عن الماسونية في إنجلترا ولكن مهارات إنجلترا في التأثير ساعدت على تقريب المحافل الماسونية العالمية إلى المحفل الماسوني الإنجليزي.

وضمن موسوعة عبد الوهاب المسيري فقد بدأ دخول اليهود إلى المحافل الماسونية الإنجليزية عام ١٧٣٢ وتأسس أول محفل ماسوني يهودي عام ١٧٩٢. وكذلك كان يسيرا على اليهود دخول المحافل الماسونية في فرنسا، وأصبح أحد اليهود الرئيس الأكبر لأحد المحافل الماسونية في فرنسا عام ١٨٦٩. وكذلك كان الحال في أمريكا. وأما باقي أوروبا فقد تأخر السماح لدخول اليهود في المحافل الماسونية حتى ١٨٧٠ على الأكثر.

انتبه الآن..... دخول اليهود إلى المحافل الماسونية في أوروبا هو حديث مقارنة بنشوء الماسونية نفسها. فقد نشأت الماسونية منذ الـ ١٤٠٠. وكذلك فإن الماسونية هي نادي اجتماعي علماني خاص يجمع بين المال والسلطة. وأي شخص غني أو ذي منصب رفيع في الدولة أو ذي شأن مهم في التجارة فقد كانت له الفرصة أن ينضم إلى الماسونية بغض النظر عن ديانته أو مذهبه. وهذه هي النقطة وهي أن الماسونية كانت ناديا علمانيا خاصا. ولم تكن الماسونية تسيطر على النظام الحاكم في إنجلترا وإنما كان النظام الحاكم في إنجلترا هو الذي يُسيطر على الماسونية.

وللمقارنة فقد بدأ اليهود بدخول الماسونية منذ عام ١٧٣٢ ولكن (كما تم تفصيله سابقا) تم ترفيع أول يهودي إلى مرتبة فارس عام ١٨٣٧، وتم ترفيع أول يهودي إلى مرتبة بارون عام ١٨٤١، وتم انتخاب أول يهودي لعمدة لندن عام ١٨٥٥، وتم وضع قانون تحرير اليهود عام ١٨٥٨، وتم السماح لدخول أول يهودي عضوا في مجلس العموم عام ١٨٥٨، وتم السماح لدخول أول يهودي مجلس اللوردات عام ١٨٨٤. وغلبة ظن المؤلف أن هذه التطورات لم تأت بقوة الماسونية ولا بسبب نظرة التسامح بقدر ما جاءت بسبب المخطط الإنجليزي لإقامة دولة يهودية في فلسطين كما تم نقاشه سابقا.

وهذه هي النقطة هنا..... اليهود ليسوا من أنشأ الماسونية وليسوا من يُسيطر على الماسونية وإنما قامت إنجلترا باستغلال الماسونية للدخول إلى المحيط اليهودي في تركيا وروسيا وألمانيا وليصبح اليهود هناك طابورا خامسا لإنجلترا.

بالطبع يجب الانتباه أن هذه المقالة لا تدافع عن الماسونية. فالمفاهيم الماسونية مخالفة تماما للإسلام كما أن الماسونية مُتهمة وبشكل حقيقي أنها إحدى الأدوات التي أسقطت السلطان عبد الحميد وأسقطت بعده دولة الخلافة.

ووجهة نظر المؤلف أن الماسونية كانت ولا تزال إحدى أدوات المخابرات الإنجليزية في السيطرة والنفوذ في مستعمرات إنجلترا السابقة. وكذلك فإن تخمين المؤلف أن الماسونية تمثل اللوبي الإنجليزي الخفي في أمريكا.

الفصل العاشر - اللوبي اليهودي وأمريكا

كان الحديث متركزا في المقالات السابقة عن عدم قدرة اليهود على السيطرة على العالم، ولا حتى على أنفسهم، وذلك بسبب شدة الصراعات الداخلية المتأصلة بينهم. وتم وضع بعض الأمثلة التاريخية والحديثة والتي تؤيد هذا الادعاء.

ولكن هناك مشكلة في هذا الادعاء وهو حظوة وتأثير اللوبي اليهودي في أقوى دولة حاليا في العالم. ولا يستطيع أحد أن يُنكر قوة تأثير اللوبي اليهودي في صناعة القرار الأمريكي.

هل هناك تناقض؟؟؟

لا يوجد تناقض، فشوكة سمكة صغيرة في حلق عملاق ضخم قادرة إذا ساعدتها الظروف أن تُسقط العملاق أرضا.

دعونا ننظر أولا إلى تاريخ اليهود في أمريكا:

بدأت أمريكا دولتها بنظرة علمانية واضحة وكانت أمريكا مترامية الأطراف وكان النظام الحاكم في أمريكا بحاجة إلى الناس. ولهذا السبب فقد بدأت أمريكا تاريخها بعلمانية متسامحة مع جميع الأطياف والمذاهب بمن فيهم اليهود منذ عام ١٧٧٦.

ولكن بدأت بوادر العنصرية الأمريكية تظهر منذ عام ١٨٥٠. وهذه العنصرية لم تكن موجهة نحو اليهود بشكل خاص وإنما إلى كل من هو ليس أوروبيا مسيحيا.

وفي الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥) بدأت أول موجة كراهية واضحة تجاه اليهود من الأمريكيين من طرفي الحرب على حد سواء. وهناك صفة واضحة في الثقافة الأمريكية لا يعرف المؤلف أسبابها وهي أن الأمريكيين وقت الضيق يتصرفون وبشكل واضح وحقيقي بـ "من ليس منا فهو عدونا". وهذا الذي يبدو أنه حصل مع اليهود في الحرب الأهلية فقد تم وصف اليهود أنهم نفعيون وأنهم يريدون إخراج المسيحيين من أعمالهم ليستولوا عليها.

وأحد الشواهد على ما سبق هو الجنرال جرانت (Grant) وهو أحد كبار القادة العسكريين في الحرب الأهلية، وأصبح فيما بعد الرئيس الثامن عشر لأمريكا عام ١٨٦٩. وقد قام جرانت عام ١٨٦٣ (أثناء الحرب الأهلية) بإصدار القانون العام رقم ١١ (General Order No. 11) والذي يقضي بطرد اليهود خلال ٢٤ ساعة من المناطق التي يحكمها:

The Jews, as a class violating every regulation of trade established by the Treasury Department and also department orders, are hereby expelled from the Department [of the Tennessee] within twenty-four hours from the receipt of this order.

(المرجع: Wikipedia - O11).

ولكن هذا القانون تم إلغاؤه مباشرة من قبل الرئيس الأمريكي لنكولن (Abraham Lincoln). ولكن أصدر جرانت أمرا آخر بمنع اليهود من التجوال جنوبا:

"No Jews are to be permitted to travel on the road southward."

(المرجع: Wikipedia - Antisemitism)

كذلك أصدر مساعده الكولونيل دوبيوس (John V. DuBois) أمرا مماثلا:

"All cotton speculators, Jews, and all vagabonds with no honest means of support", to leave the district. "The Israelites especially should be kept out…they are such an intolerable nuisance."

(المرجع السابق).

وظهرت حركة الـ ك.ك.ك الأولى (KKK - Ku Klux Klan) عام ١٨٦٥ وهي حركة لم تكن موجهة نحو اليهود خاصة وإنما كذلك لكل من ليس أوروبيا مسيحيا. (المرجع: Wikipedia - KKK).

ولكن موجة الكراهية هذه قد خفت كثيرا بعد انتهاء الحرب الأهلية وقد أرجع جرانت (بعد أن أصبح رئيسا لأمريكا) روابط المودة بينه وبين الجالية اليهودية.

وفي بداية الحرب العالمية الأولى ظهرت موجة كراهية أخرى جديدة لليهود وربما بسبب تلك الصفة الموجودة في أعماق الثقافة الأمريكية وقت الضيق (من ليس منا فهو عدونا). وأحد الشواهد هو دليل التوظيف للجيش الأمريكي والذي تضمن: المولودون خارجا وخاصة اليهود هم أكثر تمارضا من المولودين في الوطن:

"The foreign born, and especially Jews, are more apt to malinger than the native-born."

(المرجع: Wikipedia - Antisemitism)

وعندما علم الرئيس الأمريكي وقتها (Woodrow Wilson) بالأمر قام بتعديل الدليل.

ثم ظهرت حركة الـ ك.ك.ك الثانية (KKK - Ku Klux Klan) في عام ١٩٢٠ وهي كذلك لم تكن موجهة نحو اليهود بشكل خاص وإنما إلى كل من ليس أوروبيا مسيحيا. وحيث إن عدد اليهود في أمريكا عام ١٩٢٠ قد وصل إلى حوالي ثلاثة ملايين نسمة فمن الطبيعي أن يكون اليهود هدفا واضحا لدعايات الـ ك.ك.ك.

ومنذ بداية الـ ١٩٢٢ قام الكثير من الجامعات بوضع كوتا خاصة في قبول الطلبة اليهود في صفوفها. وكان الهدف من هذه الكوتا هو تحديد أعداد الطلبة اليهود في الجامعة. وكان أول من أعلن عن هذه الكوتا هو جامعة هارفرد ولكنها ألغتها بعد ذلك بقليل. ولكن فكرة الكوتا نفسها للطلبة اليهود قد تم تبنيها وبنماذج مختلفة في جامعات أخرى في أمريكا مثل جامعة كولوبيا وجامعة ييل وجامعة بوسطن. وهذه أنظمة لم تختفِ تماما حتى عام ١٩٦٠. (المرجع: Wikipedia - Antisemitism)

ولكن أكبر موجهة كراهية حدثت لليهود في أمريكا كان في فترة الكساد الكبير (Great Depression) بين عامي ١٩٢٩ و ١٩٤٠. وفي هذه الفترة نظر الأمريكيون إلى اليهود على أنهم منافسون لهم في الرزق عندما كان الرزق شحيحا في أمريكا. وقد تم وصف اليهود في أمريكا وقتها أنهم جشعون (Greedy) وغير أمينين (Dishonest) وانتهازيون (Pushy). (المرجع السابق).

ومع نهاية فترة الكساد ونهاية الحرب العالمية الثانية وانتشار قصة الهوليكوست (Holocaust) بشكل كبير في أمريكا فقد خفت الكراهية الأمريكية تجاه اليهود منذ بداية الـ ١٩٤٥ مع الانتباه لوجود جهات يمينية مسيحية كثيرة وقتها ما زالت تنظر إلى اليهود بنفور حتى عام ١٩٦٠ على الأقل. وكان أحد هذه الجهات اليمينية هي حركة الـ ك.ك.ك الثالثة والتي ظهرت بين عام ١٩٥٠ وحتى عام ١٩٦٥.

وكان أول رئيس أمريكي يزور إسرائيل هو نيكسون (Richard Nixon) عام ١٩٧٤.

بناء على ما سبق فمن الممكن التخمين أن اللوبي اليهودي قد بدأ يظهر بفعالية منذ الـ ١٩٧٠ وأنه بدأ يؤثر في صناعة القرار السياسي الأمريكي منذ بداية الـ ١٩٨٠.

وهناك قصة ظهرت إلى الإعلام وقت كتابة هذه السطور: فقد تم الكشف عن وثائق سرية أمريكية عن محادثة جرت بين هنري كيسنجر (Henry Kissinger) وزير الخارجية الأمريكية وغرامانت (Leonard Garment) أحد مساعدي الرئيس الأمريكي عام ١٩٧٢. والقصة هي أن البيت الأبيض كان قد تلقى سيلا من الرسائل والمناشدات من الحكومة الإسرائيلية والمنظمات اليهودية للتأثير على الاتحاد السوفيتي في بعض الأمور المتعلقة باليهود. وجاء غرامانت يستشير كيسنجر وجرى بينهما الحوار التالي:

كيسنجر: هل هناك مجموعة أمريكية أنانية أكثر من اليهود؟
غرامانت: لا حتى في كل العالم.
كيسنجر: حتماً لا تستطيع أن تتحدث أمامهم خلسة فهؤلاء اللقطاء سرعان ما يُسربون ما تقوله.

والطريف في الأمر أن كيسنجر وغرامانت كلاهما يهود. (المرجع: جريدة الخليج 19/11/2011، و Daily Mail 18th November 2011).

ما سبق كان قصة اليهود في أمريكا ولكن هناك قصة أخرى مهمة وهي مفتاح اللغز للنفوذ اليهودي في أمريكا:

لقد كان عام ١٩٤٥ هو عام السيطرة الأمريكية على العالم ولكن ضمن وجهة نظر المؤلف فإن عام ١٩٤٥ هو كذلك بداية انهيار أمريكا نفسها:

أمريكا منذ عام ١٧٧٦ وحتى عام ١٩٤٥ كانت تنمو بشكل سريع ولكنه صحيح وصحي، ولم يكن هناك نفور أو تناقض صارخ بين الأهداف الأمريكية والسياسات الأمريكية. ولكن بعد عام ١٩٤٥ اكتشف الأمريكان أنهم سادة الأرض بلا منازع. فالمال كان عندهم وقتما كانت الدول كلها (بعد الحرب العالمية الثانية) على حافة الإفلاس، والقوة كانت عندهم وقتما كانت الدول الأخرى تترنح من قسوة الحرب، والصناعة كانت عندهم وقتما فقدت الدول الأخرى مصانعها في أتون الحرب. والكل كان ينظر إلى أمريكا أنها البلد المنقذ والبلد الأمل.

أمريكا كانت القطب الأوحد منذ عام ١٩٤٥ وحتى عام ٢٠٠٦ ولم يكن أحد قادرا أن يصل إلى مستوى أمريكا من حيث المال والصناعة والعلوم والإنجاز والإدارة إلخ.

وهنا قامت أمريكا بالخروج من حالة النمو الصحي السريع إلى حالة النمو السرطاني. فأمريكا منذ عام ١٩٤٥ لم تعد تهتم بالمصداقية ولا بالأمانة ولا باللباقة الدبلوماسية (إلا تجاه الدول الكبرى كروسيا وفرنسا وبريطانيا). وأصبحت أمريكا مهتمة فقط بمد نفوذها وسيطرتها في العالم (وخصوصا العالم الثالث) دون أي اهتمام بأي مصداقية دولية.

وفي نفس الوقت أخذت أمريكا الزعامة الحضارية وأصبحت الحامي لحقوق الإنسان وحرياته. وهذا كان منتهى النفاق: فأمريكا من جهة تدعو إلى الأخلاق وحقوق الإنسان والديمقراطية ولكنها في نفس الوقت تقوم بامتصاص ثروات الشعوب وتساند الحكومات الديكتاتورية الظالمة وتغض الطرف عن

فساد عملائها وتقترف الجرائم (كما حدث في الحرب الكورية والحرب الفيتنامية وحرب العراق وأفغانستان).

هذا كان تناقضا صارخا في السياسة الأمريكية وهذا التناقض قد ألهب ثورة الاشتراكيين والشيوعيين ضد النفوذ الأمريكي في أقاليم كثيرة في العالم. ولكن أمريكا واجهت هذه الثورة بمكر وسياسات كان منها تقوية الأصولية الدينية ونشر الإسراف والاستمتاع الرخيص.

هذا النمو السرطاني لم يتوقف عند الأجهزة الإدارية الأمريكية وإنما تعداه إلى ثقافة الناس. وكانت النتيجة خلق ثقافة جديدة في أمريكا أن الهدف من الحياة هو النجاح بأي وسيلة وبأي طريقة. وضمن هذه الثقافة وهذا الاندفاع العام نحو السيطرة والنجاح فقد ظهرت ثقافة جديدة في المجتمع الأمريكي وهي أُحادية النظرة: الدولة الفلانية إما معنا وإما ضدنا، الشخص إما هو شر أو خير، الأمر إما هو أبيض أو أسود. ولم يعد هناك وجود للون الرمادي في الثقافة العامة في أمريكا.

وكذلك فإن الاندفاع الشديد نحو تحقيق المصالح دون الاهتمام بالمصداقية قد خلق تشوها فكريا حقيقيا عند الشعب الأمريكي. فالتصريحات الرسمية للإدارة الأمريكية مناقضة وبشكل صارخ للسياسة الحقيقية للدولة. وعندما تزداد الهوة بين التصريحات والأفعال وبشكل أكثر بكثير من الطبيعي فإن هذه هي وصفة أكيدة لانفصام الشخصية في الدولة. وبعد تناوب عدة أجيال للمناصب الإدارية في الدولة فإن الدولة ستكون متخمة بإداريين وسياسيين لا يعرفون الاتجاه الحقيقي لدولتهم. وهنا يظهر التعارض والصراع الحقيقي بين الأجهزة الإدارية المختلفة في الدولة والصراع الحقيقي بين الأحزاب والحركات والتوجهات المختلفة في الدولة.

وأدى تقوية الأصولية الدينية (كجهة مضادة للشيوعية) إلى خلق ما يُسمى الآن بالجناح اليميني المحافظ في أمريكا وهو الجناح الذي يُمثله الحزب الجمهوري.

الآن .... في فترة ما بعد ١٩٤٥ بدأت تنتشر وبشكل واضح نبوءة يوحنا (والتي بدأت إنجلترا بنشرها وبشكل جدي في العالم منذ ١٨٤٠). ولكن هنا ملاحظة مهمة: عندما انتشرت نبوءة يوحنا في إنجلترا فإنها لم تتحول إلى عقيدة عند الجهات المسيحية وإنما كانت نبوءة تُمثل رغبة، وبقيت نبوءة تُمثل رغبة. وحتى ضمن القيادات الإنجليزية فإن نبوءة يوحنا كانت موضوعة ضمن إطار سياسي وليس ضمن إطار عقائدي.

أما في أمريكا ونتيجة للثقافات الجديدة التي ظهرت فيها بعد عام ١٩٤٥ (أحادية الخطاب والأصولية الدينية وتشوه النظرة الإستراتيجية) فإن نبوءة يوحنا تحولت إلى عقيدة أساسية في أعماق اليمين المحافظ. وأصبح اليمينيون المحافظون ينظرون إلى أنفسهم أنهم فرسان صليبيون وظيفتهم هو حماية إسرائيل حتى تتحقق نبوءة يوحنا ويرجع المسيح المنتظر إلى الأرض.

ولم يكن بإمكان النظام الحاكم في أمريكا أن يوقف زخم هذه العقيدة في شباب الحركة اليمينية وذلك لأن أمريكا نفسها كانت مندفعة بلا هوادة نحو مصالحها ضمن نمو سرطاني واضح.

وإذا انتبه القارئ فإن آخر رئيس أمريكي حازم تجاه إسرائيل كان جيمي كارتر والذي استطاع فرض الانسحاب الإسرائيلي من سيناء (وهي منطقة مقدسة عند اليهود). وإن تعاظم النفوذ اليهودي قد بدأ يظهر بشكل واضح يوم استلم الحزب الجمهوري بقيادة يمينية (رونالد ريجان) سدة الحكم في أمريكا عام ١٩٨٠.

وهنا النقطة.... قوة اللوبي اليهودي لم تأت من ذات اليهود ولا من ذكاء اليهود وإنما أتت من عقيدة مترسخة عند اليمين المحافظ. وهذه العقيدة لم تنشأ بقوة من اليهود وإنما نشأت بسبب النمو السرطاني الذي حدث في أمريكا بعد عام ١٩٤٥.

وأفضل قرينة على ما سبق هو مقارنة قوة اللوبي اليهودي في أمريكا مع قوته في أوروبا: فاللوبي اليهودي في إنجلترا ضعيف، وفي فرنسا ضعيف وفي روسيا ضعيف ويكاد يكون منعدما في الدول الإسكندنافية. وأي قوة للوبي اليهودي في أوروبا فإنما يكون بضغط من أمريكا نفسها.

وهنا مشكلة أمريكا فإن للنمو السرطاني عواقب وخيمة، وإن الدولة التي تلعب بديناميكية الكون دون حذر فإنما تلعب ودون أن تدري بالنار. وكما تم التعرض له سابقا فإن المشكلة الحقيقية لأمريكا هي ارتباطها الوثيق الذي لا فكاك منه بإسرائيل. وبالتالي فأي حماقة تقوم بها إسرائيل فإنها ستنعكس سلبا على أمريكا.

وأمريكا في هذا الوقت بالذات (٢٠١١) بحاجة ماسة أن تسترجع بعضا من المصداقية مع العالم ولكنها لا تستطيع إذ إنه في أي حماقة إسرائيلية تحدث فإن أمريكا مضطرة (وبسبب عقيدة وثقافة اليمين المحافظ) أن تُدافع عن إسرائيل. وبالتالي فهي ستبقى مُتهمة من جميع الجهات أنها تكيل بمكيالين وأنها فاقدة للأمانة.

إن أمريكا الآن كسفينة ضخمة جدا جدا تسير بأقصى سرعة وقد صدأت دفتها. وسفينة كهذه ليس من السهل عليها أن تستدير وتُغَيِّرَ وجهتها بالسرعة الكافية.

وهناك مشكلة أخرى في أمريكا: إن الطريقة التي يتم فيها تغذية النمو السرطاني هو مد النفوذ نحو الخارج وامتصاص ثروات الشعوب وتصدير المشاكل الداخلية إلى الخارج. ولكن إذا حدث التوازن بين النمو السرطاني والخارج (أي حدث توازن في القوة بين الدولة والعالم الخارجي) فإن النمو السرطاني لا يتوقف وإنما سيبدأ بالتغذية على نفسه (أي أنه سيبدأ يَأكل نفسه). وهذا قانون ديناميكي كوني لا مناص منه.

وكما تم الحديث عنه سابقا فقد وصلت أمريكا إلى اتزان في القوة بينها وبين العالم في عام ٢٠٠٦. وما شدة الصراع السياسي الآن في أمريكا بين جمهوريين وديمقراطيين، وبين محافظين وليبراليين، وبين رأسمالية الشرق الأمريكي ورأسمالية الغرب الأمريكي، وبين وزارة الخارجية ووزارة الدفاع، وبين الأغنياء والفقراء، إن هو إلا ظاهرة النمو السرطاني تأكل نفسها.

وهنا النقطة..... إن قوة اللوبي اليهودي في أمريكا لم يأت من قوة اليهود ولا من ذات اليهود وإنما جاءت قوة اللوبي اليهودي كظاهرة من ظواهر النمو السرطاني في أمريكا والذي تسبب (أي النمو السرطاني) بتعديلات جوهرية في الثقافة والعقيدة الأمريكية كان منها العقيدة المتعلقة بضرورة إرجاع وحماية اليهود في فلسطين حتى يرجع المسيح المنتظر.

ولكن حتى تصرفات اللوبي اليهودي في أمريكا هي تصرفات حمقاء. إذ إنه من الذكاء للأقليات التي تملك سلطة حقيقية في الدولة أن تكون بعيدة عن الضوء قدر الإمكان. وأفضل مثال على ذلك هم الإنجليز: فَعِنْدَ الإنجليز نفوذ حقيقي ومؤثر في الإدارات الأمريكية والأحزاب الأمريكية والسياسات الأمريكية. وهناك أكثر من جهة تستخدمها إنجلترا لهذا الغرض منها الماسونية.

ولكن هل سمع أحد قط داخل أمريكا أو خارجها بِجِهَة أو جبهة اسمها اللوبي الإنجليزي؟؟؟

أما اليهود فهم يتبجحون بسلطتهم وسطوتهم في أمريكا ويعلنونها علنا أمام الجميع. وهنا السؤال: هل هذا التصرف ذكي أم في غاية الحماقة؟؟ خصوصا وأن الشعب الأمريكي قد دخل الآن فترة ضيق وركود شديدين!!!.

وفي واقع الحال فقد ظهرت جماعات وجهات تطالب بتحديد العلاقة بين أمريكا وإسرائيل وتحجيم قوة اللوبي اليهودي في أمريكا منهم ديفيد ديوك (David Duke) العضو السابق في الكونجرس. ولكنه ليس من السهل تغيير عادة تجذرت (ارتباط إسرائيل بأمريكا) أو تعديل عقيدة ترسخت (ضرورة حماية اليهود في فلسطين من أجل رجوع المسيح المنتظر). وستبقى إسرائيل مرتبطة بأمريكا وبشكل وثيق وستبقى أمريكا تحصد ألما ومشقة حماقات إسرائيل في العالم.

وفي الحقيقة فقد كان المؤلف يستغرب حقا من مواقف روسيا والصين تجاه الثورات العربية في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا. وكان المؤلف يظن وقتها أن تصرف روسيا والصين لم يكن حكيما لأنه سيضع نقاطا سوداء حقيقية لروسيا والصين عند العالم العربي. وكانت وجهة نظر المؤلف وقتها أن هذه التصرفات جاءت لخوف روسيا والصين من أن تنتقل عدوى هذه الثورات إليهما.

ولكن (وللأسف) فقد اكتشف المؤلف لاحقا أن تصرفات روسيا والصين كان ذكيا ضمن امتدادات اللعبة الدولية في العالم ولأسباب إضافية لما سبق.

انتبه إلى التالي:

لقد أصبحت الدول الديكتاتورية المتحالفة مع أمريكا في خوف وريبة من نِيَّات أمريكا. وغلبة ظن المؤلف أن الدول الديكتاتورية قد اقتنعت أنه إذا قامت ثورة شعبية ضدها فإن أمريكا ستبقى صامتة مدة عشرين يوما وبعدها ستبدأ بالتوبيخ وبالدعوة إلى ضرورة تعديل النظام وضرورة تحقيق الديمقراطية. وأمريكا مجبرة على هذا الأمر وليست مُتَطَوِّعة، فأمريكا في هذه الأوقات الاقتصادية والسياسية العصيبة تسعى أن تسترد مصداقيتها الأخلاقية، ليس أمام العالم فقط، وإنما أمام شعبها وأقسامها وإداريها وموظفيها. ولهذا السبب فأمريكا لا تستطيع أن تبقى صامتة طويلا وإنما هي العشرون يوما فقط.

ولهذا السبب فإن غلبة تخمين المؤلف أن كثيرا من الدول الديكتاتورية قد بدأت بنسج خيوط وعلاقات أوثق مع روسيا والصين لعلمهم أن روسيا والصين سيبقيان أكثر وفاء لهم من أمريكا إذا قضت الأقدار أن تضرب الثورة الشعبية أنظمتهم.

وبالتالي فمن المنطق أن نقول إن سياسة روسيا والصين قد فتحت أبوابا أوسع لهما مع الأنظمة الديكتاتورية في المنطقة.

وفي المقابل.... فقد انتصرت الثورة الليبية وهناك شعور بالغضب لدى الليبيين من سياسات روسيا والصين ومن الواضح أن هناك شعورا بالمودة بين الثورة الليبية وأمريكا.

ولنفترض (وهو الأمل) أن الثورة السورية قد نجحت هي الأخرى فإنه على غلبة الظن أن السوريين سينظرون بغضب تجاه السياسات الروسية والصينية وربما يكون هناك شعور بالمودة بين الثورة السورية وأمريكا.

ولكن إلى متى؟؟

أمريكا ستبقى مرتبطة بإسرائيل وبحماقات إسرائيل.

فإلى متى يستطيع الشعب الليبي والسوري أن يصبرا على حماقات إسرائيل، وعلى ازدواجية المعايير الأمريكية، وعلى صفة الكيل بمكيالين الأمريكية، وعلى الوقاحة الأمريكية بالدفاع عن إسرائيل وجرائم إسرائيل ؟؟

النقطة هنا أن العداء نحو إسرائيل أصبح مُتَجَذِّراً في العالم الإسلامي والعربي. وأمريكا لا تستطيع ضمن المدى المنظور الانفكاك عن إسرائيل. وإسرائيل لن تتوقف عن حماقاتها.

ويستبعد المؤلف أن الأنظمة التي ستحكم مصر وتونس وليبيا وسوريا واليمن في هذه المرحلة ستكون أنظمة ذات انتخاب وشورى حقيقيين. ولكن من المؤكد أن الشعوب في مصر وتونس وليبيا وسوريا واليمن سيكون لهم كلمة مؤثرة حقيقية في أعمال وتوجهات هذه الأنظمة.

ولهذا السبب فإن غلبة ظن المؤلف أن علاقات المحبة والود المفترضتين بين الثورة المصرية والثورة الليبية والثورة السورية والثورة اليمنية وبين أمريكا هي علاقات عابرة ومؤقتة. وبعد عدة حماقات إسرائيلية تتلوها عدة وقاحات أمريكية فإن الكيل سيطفح بالأحرار في مصر وتونس وليبيا وسوريا واليمن وتتجه الأمور إلى أخذ مواقف حقيقية تجاه أمريكا.

ومن يريد أن يأخذ مواقف حقيقية تجاه أمريكا فإن عليه أن يتفاهم مع روسيا والصين!!!!!

ولهذا السبب فقد كسبت روسيا والصين كثيرا من ثقة الدول الديكتاتورية في المنطقة ولم تخسر (على المدى الطويل) الدول الثائرة. وفي المقابل فإن أمريكا

قد بدأت تخسر ثقة الدول الديكتاتورية في المنطقة وفي نفس الوقت فهي في الحقيقة لن تكسب ثقة الدول الثائرة.

وبالطبع فإن سياسات روسيا والصين ليست سياسات مبدئية ولا إنسانية ولا أخلاقية تجاه الثورات العربية في المنطقة ولكن ضمن حسابات الربح والخسارة بين روسيا والصين وبين إنجلترا وأمريكا في موضوع الثورات العربية فإن روسيا والصين تربحان على المدى الطويل.

إن اللوبي اليهودي هو حمل ثقيل على أمريكا ولا تستطيع أمريكا بعد سنوات طويلة من الارتباط بينها وبين إسرائيل أن تزيل عنها هذا الثقل. وأمريكا الآن تدفع غاليا ثمن هذا الارتباط.

وهناك نقطة يجب نقاشها:

هناك الكثير من الناس من لا يحب الدخول في التفاصيل ويريد أخذ الموضوع بصورة منطقية مباشرة قصيرة وسريعة كما في المنطق التالي:

اليهود هم أغنى أغنياء أمريكا.
إذن اليهود هم من يسيطرون على أمريكا.
وانتهى، ونقطة على السطر.

والحقيقة أن اليهود ليسوا أغنى أغنياء أمريكا وإنما نسبة الغنى عند اليهود مرتفعة مقارنة بباقي الأقليات الأخرى، وهناك الكثير من اليهود في قائمة أغنياء العالم.

ولكن يجب الانتباه أن قارون (وهو من قوم موسى عليه السلام) كان من أغنى أغنياء مصر وقت الفراعنة. ولكن هذا لا يعني أن قوم موسى كانوا مسيطرين على مصر.

وليس من الضروري تعقيد الأمور لتحليل الواقع، وكذلك فإن تسطيح الأمور لن يكون مفيدا. وأهم أداة لتحليل الوقائع السياسية والتاريخية والاجتماعية هي خط الزمن، وهو وضع الأحداث على خط الزمن وملاحظة الأنماط الظاهرة فيها دون تعقيد لها أو تسطيح.

والظاهر أن اليهود في أمريكا لم يكونوا محبوبين جدا في أمريكا في فترة من الزمن ثم أصبح لليهود نفوذ حقيقي هناك. وبالتالي فقد حدث تطور ما في علاقة اليهود مع المحيط بهم في أمريكا. ومن وضع أحداث هذا التطور على خط الزمن فإنه من الممكن الاستنتاج إذا كان نفوذ اليهود من قوتهم الذاتية أو بسبب الظروف المحيطة بهم.

وكما تم بيانه فإن غلبة ظن المؤلف أن نفوذ اليهود في أمريكا ليس من قوتهم الذاتية وإنما بسبب ظاهرة من ظواهر النمو السرطاني في أمريكا والذي تسبب بتعديلات جوهرية في الثقافة والعقيدة الأمريكية.

الفصل الحادي عشر
اليهود والحماية السماوية وانتهاؤها

ما تعرض له بنو إسرائيل بعد عام ٧٠ ميلادية من شتات ومصاعب لم يتعرضوا له أبدا في تاريخهم منذ عهد موسى عليه السلام.

وأما غزو الكلدانيين للقدس فإنه لم يؤد إلى تدمير الحضارة اليهودية في فلسطين ولم يؤد إلى الشتات. ولقد قام الكلدانيون بسبي ٧٠ ألفاً من يهود القدس إلى بابل. ولكن غلبة التخمين أن اليهود في فلسطين كانوا يتجاوزون هذا العدد بأضعاف. ولقد تم تدمير هيكل سليمان في القدس ولكن أطلال المكان لم تختفي وقام اليهود بعدها بوضع بنيان متواضع مكان هيكل سليمان وقتها:

قال الله تعالى: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آَيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (٢٥٩ - البقرة).

وغلبة الظن أن هذا الرجل هو أحد أنبياء بني إسرائيل وأن القرية هي القدس وأن الوقت كان بعد تدمير بختنصر لهذه المدينة (انظر تفسير ابن كثير والطبري والقرطبي). وبعد سبعين سنة رجع الكثير من يهود السبي إلى فلسطين مكرمين معززين تحت الرعاية الفارسية.

النقطة هنا أن ما تعرض له اليهود في غزو الكلدانيين كان نكسة في تاريخ حضارتهم. ولكن ما حدث لليهود بعد ٧٠ ميلادية كان تدميرا كاملا لهذه الحضارة وهذا أمر خارج عن النمط المعهود الذي تعوده اليهود.

وتوجد هنا ملاحظة أخرى: إذا نظرنا إلى بداية نشوء تاريخ بني إسرائيل فإننا نجد إخوة يتآمرون لقتل أخيهم الصغير (يوسف عليه السلام) ثم بعد المداولة تم الاتفاق على نفيه خارج المنطقة، وكذبوا على أبيهم (يعقوب عليه السلام)، ثم اتهموا أخاهم (يوسف) بالسرقة. ومع هذا فقد أكرمهم الله تعالى ونقلهم من حياة البادية إلى مقام كريم في حياة المدينة تحت ظل الملوك.

ثم تقلبت الأمور وجاءت أنظمة سياسية أساءت إلى بني إسرائيل في مصر فأرسل الله موسى عليه السلام. ومَكَّنَ الله لموسى وقومه الخروج من مصر. وقد رأوا بأعينهم آيات الله الكبرى من شق البحر، وإغراق فرعون، وتفجير الحجارة إلى ينابيع، وحضور المن والسلوى إلى أيديهم. ومع هذا كله فقد أخذوا يتمنون على موسى، ثم عبدوا العجل وموسى حي لم يمت، وعندما طلب منهم موسى أن يدخلوا الأرض المباركة تقاعسوا وقالوا لموسى: "إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" (٢٤ - المائدة).

أبَعْدَ هذا التكريم يكون كلامهم هذا الكلام وتصرفهم هذا التصرف!

ثم أدخلهم الله في التيه ولكن الله لم يُنهِ وجودهم وإنما يَسَّر لأحفاد أولئك الناس أن يدخلوا الأرض المباركة. ومع هذا فإن التعالي والتكابر كان حيا في صدور الكثير منهم:

"وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ" (الأعراف - ١٦٢)

"فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (النساء - ١٥٥)

"لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إسرائيل عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (٧٩ – المائدة)

"وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ" (٦١ – البقرة).

ومع كل ذلك فإن الأقدار ما زالت تحيط هذه العشيرة (بني إسرائيل) بالرعاية والتكريم وما زالت الأنبياء تسوسهم ما يموت نبي إلا ويأتيهم نبي آخر.

الملاحظة هنا أن الأقدار قد صبرت وبشكل أكبر من المعتاد على بني إسرائيل مع ما في كثير منهم من تعالي وتكابر وطغيان، وأعطت السماء لبني إسرائيل من البركات والرعاية ما لم تعطه للأمم الأخرى.

والسؤال الأول هنا: لماذا؟؟؟

والسؤال الثاني الأهم هو: ما الذي حدث كي تنتهي هذه الرعاية السماوية لبني إسرائيل؟؟ فالذي حدث لبني إسرائيل بعد عام ٧٠ ميلادية كان خارجا تماما عن الرعاية السماوية التي أَلِفَها اليهود في تاريخهم؟؟

للإجابة على السؤالين السابقين فإن وجهة نظر المؤلف أن الحسابات السماوية تختلف عن الحسابات البشرية. وإحدى الحسابات السماوية الواضحة أن الأعمال الصالحة للرجل تَخْدُم ذريته. ودليل ذلك قول الله تعالى:

"وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" (الكهف - ٨٢).

ونظرة المؤلف أن إسحاق أو يعقوب عليهما السلام قد عمل عملا صالحا ومتميزا عن جميع أعمال البشر مما أوجب البركة لذريته من دون الأمم. وهذا قد يفسر صبر الأقدار على التعالي والتكبر والطغيان الظاهر للكثير من بني إسرائيل.

الآن..... هناك خلاف بين المفسرين عن الذبيح في قوله تعالى:

"فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ" (الصافات - ١٠٢).

ورأي الطبري أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل. ولكنه ناقش الأدلة المؤيدة لهذا الرأي والمخالفة له، وقد أورد الطبري أسماء كثير من الصحابة والتابعين الذين يؤيدون هذا الرأي والرأي الآخر. وأما القرطبي فناقش الموضوع من جوانبه ولكنه قال: "واختلف العلماء في المأمور بذبحه. فقال أكثرهم: الذبيح إسحاق".

وأما ابن كثير فقد رفض هذا الادعاء جملة وتفصيلا: "وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضا، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلما من غير حجة ".

والنقطة التي يُلاحظها المؤلف أن القرآن قد تَعَمَّد أن يجعل شخصية الذبيح مجهولة مما يجعل المؤلف يميل إلى الرأي أن الذبيح هو إسحاق.

إن الأمم إذا سقطت سيادتها وذهبت هيبتها فإن الذي يبقى لها هو رموزها التاريخية. وإذا انْتَبَهْتَ إلى الأمم التي كانت لها العزة في يوم من الأيام فإن أحفاد هذه الأمم ينظرون إلى رموزهم نظرة تقديس وبشكل خارج عن إطار المنطق. وإنه إذا تم التعرض لأحد هذه الرموز فإن هذا أشد عليهم من طعن الرماح في الصدور. وهذا ما شعر به اليهود حقا عندما نقل الإسلام القِبْلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام. ولقد كان هذا الحدث أقسى على اليهود من خلع قلوبهم.

وهذا ما يغلب على تخمين المؤلف في هذا الموضوع: إن جعل شخصية الذبيح مجهولة سيؤدي إلى اجتهاد مُعتبر ومقبول عند الكثير من الأمة أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق. وهذا أشد على اليهود من طعن الرماح.

هل ما سبق صحيح؟؟ هل شخصية الذبيح مجهولة في القرآن؟؟

إن نظرة كثير من السابقين أن الذبيح هو إسحاق يأتي من قول اللَّه تعالى: " فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ". والذي بُشِّر به إبراهيم في آية سابقة هو إسحاق في قوله تعالى: " وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ " (هود – ٧١).

ولكن رد الآخرين هو أن إسحاق لا يمكن أن يكون الذبيح؛ لأن الملائكة قد بشرت إبراهيم بيعقوب من وراء إسحاق، وعليه فلا يمكن أن يتم الأمر بذبح إسحاق. ولكن القرطبي أورد ردا على ذلك أنه "لم يرد في القرآن أن يعقوب يولد من إسحاق". بمعنى أن عبارة " وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ " لا تعني بالضرورة أن يعقوب يولد من إسحاق.

وكذلك فقد كانت حجة البعض أن الله قد بشر إبراهيم أن يكون إسحاق نبيا في آية تالية لقصة الذبح وعليه فإن الذبيح وإسحاق هما شخصان مختلفان:

"فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" (١١٢ – الصافات).

ولكن الرد على ذلك أن الآية السابقة ليست صريحة. إذ يمكن أن يكون إبراهيم قد بُشِّر بنبوة إسحاق بعد حادثة الذبح.

النقطة هنا أنه لا توجد أدلة صريحة تكشف عن هوية الذبيح. ولهذا السبب فإن الآراء التي أوردها الطبري والقرطبي هي ثلاثة آراء: أن الذبيح هو إسحاق، وأن الذبيح هو إسماعيل، وأن الله أعلم.

الآن.... بسبب الملاحظة أن السماء قد أحاطت بني إسرائيل برعايتها مع ما فيهم من تعالي وتكابر وطغيان فإن استنتاج المؤلف أن هذا يتطلب بالضرورة أن يكون أبوهم قد عمل عملا صالحا عظيما مما يجعل البركة تأتي لذريته بغض النظر عن صفاتهم. وهنا كانت النتيجة وهي أن إسحاق أو يعقوب قد عمل عملا صالحا عظيما جعل البركة تأتي لذريته.

وبسبب الملاحظة أن القرآن قد تعمد أن يجعل شخصية الذبيح مجهولة فإن غلبة التخمين عند المؤلف أن الذبيح هو إسحاق كما تم نقاشه سابقا.

وهناك قرينة على ذلك وهي غير يقينية ولكنها مثيرة للانتباه:

قال الله تعالى: "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ" (١١٣ - الصافات).

فهناك بركة لإبراهيم وهناك كذلك بركة لإسحاق وتخمين المؤلف أن البركة التي جاءت لإبراهيم تتعدى لذريته وكذلك البركة التي جاءت لإسحاق تتعدى لذريته. وعليه فهناك بركة عامة لذرية إبراهيم وبركة خاصة إضافية لذرية إسحاق.

ولكن هناك ملاحظة:

قصص اليهود وكتبهم تقول إن لإبراهيم أولادا كثيرين جاءوا إليه بعد إسماعيل وإسحاق. وكذلك يقولون إن ليعقوب أخا توأما اسمه العيص وله ذرية.

ووجهة نظر المؤلف أن لإبراهيم ولدين فقط وهما إسماعيل وإسحاق. ولهذا الرأي دليلان:

الأول: أن الله قد بارك في ذرية إبراهيم. والمعلوم من أحفاد إبراهيم المبارك فيهم هم بنو إسحاق وبنو إسماعيل. ولو كان لإبراهيم أولاد آخرون لوجبت (على غلبة الظن) أن تعمهم البركة كذلك.

الثاني: وهو قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ" (٣٩ - إبراهيم). ومع أن هذه الآية ليست صريحة المعنى ولكنها تقدم قرينة أن لإبراهيم ولدان فقط هما إسماعيل وإسحاق.

وكذلك فإن وجهة نظر المؤلف أن لإسحاق ذرية واحدة فقط وهي من يعقوب. ولنفس المنطق السابق، إذ توجد بركة عامة لذرية إبراهيم وتوجد بركة خاصة لذرية إسحاق، والعيص هو ابن إسحاق وحفيد إبراهيم، فمن متطلبات المنطق السابق أن تظهر البركة في ذريته. ولكن هذا لم يحدث إذ لا يوجد أي أثر لذرية العيص مما يجعل المؤلف على قناعة كبيرة أنه لا يوجد لإسحاق إلا ذرية واحدة فقط وهي من يعقوب.

وإذا كان إسحاق هو الذبيح حقا فإن صبره وثقته بالله كانت متميزة وفريدة. وضمن غلبة ظن المؤلف فإن عملا كهذا يجعل بركات الله لبني إسرائيل أمرا مفهوما.

ولكن إذا لم يكن إسحاق هو الذبيح وإذا لم تأت الرعاية السماوية لبني إسرائيل بسبب أعمال إسحاق فإن النتيجة هي أن يعقوب قد عمل عملا صالحا عظيما مما أوجب البركة لذريته من دون الأمم، وأن هذا العمل لم ترد قصته في القرآن الكريم.

وهناك من سيقول إنه ما دام الله لم يحدد شخصية الذبيح فلا داعي للقيام بمحاولة تحديده وهذه وجهة نظر معتبرة. وهناك من هو مقتنع تماما أن الذبيح هو سيدنا إسماعيل، وهذا اجتهاد له أدلة معتبرة وقوية. ولهذا السبب فإن وجهة نظر المؤلف أن إسحاق أو يعقوب قد قام أحدهما بعمل فريد عظيم جليل قد أوجب البركة له ولذريته من بعده.

وهذا كان جواب السؤال الأول: لماذا أحاطت السماء بالرعاية المتميزة لبني إسرائيل من دون الأمم.

وهنا نرجع إلى السؤال الثاني: ما الذي حدث كي تنتهي هذه الرعاية السماوية ويذوق بنو إسرائيل التدمير والهوان بعد ٧٠ ميلادية؟؟؟

قال الله تعالى: " وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠ - الأنفال)".

وقال تعالى: " أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩ - الأعراف) ".

وقال تعالى: " وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢ - الرعد) ".

والآية الرئيسية المتعلقة بهذه النقطة هي قوله تعالى: " وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥ – آل عمران) ".

وضمن وجهة نظر المؤلف فإنه من المفيد عند النظر إلى التاريخ أن نضع "مكر الأقدار" ضمن مجال الانتباه.

وقد كان المؤلف يتساءل عما فعله سيدنا عيسى بن مريم في فلسطين؟؟؟

حقا ما الذي فعله؟؟ لقد ساح في فلسطين ثلاث سنوات فقط ثم ارتفع إلى السماء. ما الذي أنجزه رسول الله عيسى خلال هذه السنوات الثلاث.

ووجهة نظر المؤلف أن إرسال المسيح لبني إسرائيل كان مكرا من الأقدار. وبالطبع فقد دعا المسيح عليه السلام بني إسرائيل وبكل الصدق والأمانة والمثابرة، ولو أن بني إسرائيل آمنوا به لكان خيرا لهم ولغلبوا عدوهم ولتمكنوا في الأرض. ولكن السماء تعلم تماما تعاليهم وتكابرهم.

وهذه هي النقطة هنا: لقد كان إرسال المسيح إلى بني إسرائيل مكرا من الأقدار لهم. والذي حدث أنه بسبب طغيان بني إسرائيل على رسول الله ومحاولتهم قتله فإن هذا العمل الآثم قد فض العمل المبارك الذي قام به أبوهم.

انتبه هنا أن المسيح لم يكن نبيا فقط وإنما رسول الله. ولم تكن رسالته كباقي الرسالات وإنما هي رسالة مع كتاب، أي أن منزلة المسيح (من الناحية العملياتية) هي كمنزلة موسى عليه السلام. فقيام بني إسرائيل بالكفر بالمسيح (وهم ينتظرونه) مع ما قدمه المسيح من معجزات واضحة أنه رسول الله كان نقضا للعهد الذي بين بني إسرائيل والسماء. وكذلك فإن هذه المفسدة كانت كافية لِفَض بركة الأعمال الطيبة التي قام بها آباؤهم.

ولم يحدث أي شيء لبني إسرائيل في الأيام والشهور التي تلت ارتفاع المسيح إلى السماء. ولكن لمن استمع جيدا ذلك اليوم فإن الإذاعة الكونية قد أعلنت لكل من يهمه الأمر أن بني إسرائيل لم يعودوا تحت الرعاية السماوية وأنه منذ ذلك اليوم فإن إحسانهم سيكون إحسانا لأنفسهم وإساءتهم ستكون إساءة عليهم، أي أن بني إسرائيل قد تُرِكوا ذلك اليوم لقوتهم ومهاراتهم الذاتية دون أي رعاية خاصة من السماء.

والذي حدث بعدها أن بني إسرائيل قد ثاروا عام ٦٦ ميلادية وأخرجوا الرومان من فلسطين، ولكن ما إن خرج الرومان حتى تنازعوا بينهم الأمر وتعاركوا. وهذا ما جعل مهمة الرومان سهلة جدا في استرجاع فلسطين. وعمت المذابح الرومانية كل فلسطين وتم نفي الكثير من اليهود إلى أنحاء الإمبراطورية الرومانية (وهو ما تم تسميته لاحقا بالشتات الأول).

انتبه الآن.... الكلدانيون لم يقوموا بعمل مذابح عامة في فلسطين وإنما تمت معارك بين الجيش الكلداني والجيش اليهودي وانتصر الكلدانيون ثم حاصر

الكلدانيون القدس واحتلوها وقتلوا من قتلوا فيها وسبوا ٧٠ ألفا من أهلها إلى بابل. ولكن لم يقم الكلدانيون بملاحقة اليهود من قرية إلى قرية ولا عمل المجازر بهم. ولم يتم تشتيت اليهود إلى أنحاء الإمبراطورية الكلدانية وإنما بقيت المدن والقرى اليهودية في مكانها وبقوا أهلها فيها واستمرت حضارتهم. ولكن هذا الأمر اختلف عام ٧٠ ميلادية، فقد طارد الرومان اليهود من شارع إلى شارع ومن قرية إلى قرية ومن مدينة إلى مدينة وتم نفي جزء كبير من اليهود من شتى القرى والمدن خارج فلسطين.

ثم جاءت الثورة اليهودية الثانية وتم إخراج الرومان مرة أخرى من فلسطين ولكن كسابق عهد اليهود فقد اختلفوا فيما بينهم. وهذا كذلك قد سَهَّل للرومان استرجاع فلسطين مرة أخرى. وكانت هذه الثورة هي العذر الذي جعل الرومان يقومون بإنهاء الحضارة اليهودية تماما في فلسطين فقد تم صلب الكثير من اليهود في فلسطين. وأما من نجى منهم فقد تم نفيه من فلسطين إلى أنحاء الإمبراطورية الرومانية. وتم تدمير هيكل سليمان تماما وتم بناء معبد لإله الرومان "جوبيتير" مكانه. وأصبحت فلسطين بعد ذلك اليوم أرضا خالصة للرومان.

وهذا هو جواب السؤال الثاني: ما الذي حدث كي تنتهي هذه الرعاية السماوية ويذوق بنو إسرائيل التدمير والهوان في ٧٠ ميلادية وما بعدها؟؟؟ والجواب هو أنه بعد ارتفاع المسيح عليه السلام فَقَدْ فَقَدَ بنو إسرائيل حق الرعاية والحماية السماوية وتم تركهم لقوتهم الذاتية. ولم تكن قوتهم الذاتية عالية فتم دمارهم في سنوات قليلة بعدها.

الفصل الثاني عشر
المسجد الأقصى وهيكل سليمان

قبل البدء في موضوع هذه المقالة فإن هناك نقطتين يجب توضيحهما:

أولا:

الأفكار الواردة في هذه المقالة هي في غالبها تخمينات وترجيحات مبنية على قصص وأفكار وشواهد ما زالت في كثيرها متضاربة. ويجب أن يبقى في الذهن أن الأفكار الواردة هنا هي تخمينات وترجيحات. ولكن الفائدة في هذه المقالة أنها تضع نموذجا قابلا للنفي أو التعديل أو الإثبات ولهذا السبب فهي مفيدة جدا كنموذج ابتدائي يهدف للوصول إلى الحقيقة.

ثانيا:

ربما ينتقد البعض أو يحذر من مناقشة موضوع هذا الفصل حيث إنها قد تقوم بإعطاء اليهود العذر أو المصداقية في مطالبتهم بالقدس.

ووجهة النظر هذه قد تكون مفهومة في السبعينيات من القرن الماضي. ولكن هذه النظرة قد فقدت زخمها الآن، وسندخل في هذا الموضوع وبشكل أكثر عمقا في المقالة اللاحقة، ولكن كبداية للحديث أود أن ينتبه القارئ أن القوي هو الذي يُحدد الشرعية الدولية وهو الذي يُقرر القانون وهو الذي يكتب التاريخ. ويبقى القوي مُحتفظا بهذه الامتيازات حتى يأتي قوي جديد آخر ويقضي عليه. وعندها فإن القوي الجديد سيقوم بتعديل الشرعية الدولية وتعديل القانون وإعادة كتابة التاريخ.

والقوة الإسلامية في صعود متعاظم وقد توازنت القوة الإسلامية مع القوة الغربية في المنطقة عام ٢٠٠٦. وأصبح أي حماقة تقوم بها إسرائيل فإن عواقبها

ليست وخيمة عليها فقط بل عواقبها وخيمة لكل حلفائها. ولهذا السبب فإن غلبة ظن المؤلف أن مناقشة هذا الموضوع ليس مشكلة الآن ولن يُقدم أي شيء لإسرائيل وإنما العكس فهو قد يزيدهم حسرة.

◄ المسجد الأقصى

المسجد الأقصى هو كامل الحرم الشريف في القدس بأبنيته وساحاته وقبابه. والحرم الشريف هو مضلع رباعي غير منتظم ولكنه قريب من شكل مستطيل طوله (طول المستطيل) ٤٧٥ مترا وعرضه ٣٠٠ مترا.

وأشهر بِنائين في الحرم الشريف هو المسجد القِبْلي (واسم القِبْلي جاء من اتجاه القِبْلَة) وهو ما يتم تسميته مجازا بالمسجد الأقصى. وهي تسمية غير خاطئة حيث إنه من الدارج تسمية أهم جزء في المكان باسم المكان نفسه كتسمية دمشق بالشام أو تسمية القاهرة بمصر. ولكن هذه التسمية قد تكون مُرْبِكة إذا لم تكن الأمور واضحة في الذهن. فالمسجد القبلي هو البناء الأهم في الحرم الشريف وهو في أقصى جنوب الحرم ومنه يقوم الإمام بإمامة المصلين في الحرم الشريف. والبناء الأشهر الثاني هو بالطبع مسجد قبة الصخرة.

◄ متى تم بناء المسجد الأقصى

هناك رواية تتحدث أن المسجد الأقصى قد تم بناؤه بعد أربعين سنة من بناء المسجد الحرام. وقد تم توثيق هذه الرواية في صحيح البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد. وهذه الرواية هي خبر آحاد انتشرت عن الأعمش (سليمان بن مهران) عن إبراهيم التيمي عن أبيه (يزيد بن شريك) عن أبي ذر الغفاري عن الرسول عليه السلام.

والمشكلة في هذه الرواية أنها تتعارض مع ظاهر التاريخ. فالثابت أن سيدنا إبراهيم هو الذي بنى الكعبة. وتم بناء الكعبة حوالي ١٧٥٠ ق.م وبنسبة خطأ مقداره مائة سنة بالزيادة والنقصان. والقرينة على ذلك أن القرآن قد وصف حاكم مصر أيام موسى عليه السلام بفرعون ولكنه وصف حاكم مصر أيام يوسف عليه السلام بالملك. وهذا يؤدي إلى الترجيح أن حكام مصر أيام يوسف هم الهكسوس. وقد بدأ الهكسوس في حكم مصر حوالي ١٦٥٠ ق.م إلى ١٥٣٠ ق.م. وإذا افترضنا جدلا أن يوسف قد ظهر في مصر حوالي عام ١٦٠٠ ق.م وأن المدة بين ابراهيم ويوسف هي ١٠٠ سنة فهذا يعني أن إبراهيم عليه السلام كان في الفترة بين ١٨٠٠ ق.م إلى ١٧٠٠ ق.م. وهذا يجعل بناء الكعبة حوالي ١٧٥٠ ق.م.

الآن..... القدس كانت تحت حكم الكنعانيين (ذوي الديانة الوثنية) على الأقل منذ ٢٠٠٠ ق.م. واستمرت تحت حكمهم (إما بشكل مستقل أو تحت حكم الهكسوس أو تحت حكم المصريين) حتى عام ١٠٠٠ ق.م وذلك عندما أخذها داود عليه السلام وجعلها عاصمة لملكه، ثم قام ابنه سليمان عليه السلام ببناء المسجد الأقصى (أو ما يسميه الغرب بالهيكل الأول) حوالي ٩٥٠ ق.م.

رجوعا إلى الرواية السابقة فإن أكثر الروايات ثباتا في السند هي رواية أحمد وهي كالتالي:

"حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال كنت أعرض عليه ويعرض علي في السكة فيمر بالسجدة فيسجد قال قلت أتسجد في السكة قال نعم سمعت أبا ذر يقول سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول قال المسجد الحرام قال قلت ثم أي قال ثم المسجد الأقصى قال قلت كم بينهما قال أربعون

سنة قال ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد" (رواه أحمد في مسند الأنصار).

الآن جميع الرواة في هذا الحديث ثقات عدول ولكن رتبة الأعمش عند ابن حجر أنه ثقة حافظ ورع ولكنه يدلس، ورتبة إبراهيم عند ابن حجر أنه ثقة لكنه يرسل ويدلس.

والإرسال هو أن تسمع الرواية من جرير عن زيد فتقول قال زيد دون أن تذكر جرير. وأبسط تعريف للإدلاس هو أن تسمع الرواية من أطراف مختلفة ثم ترويها دون أن تحدد من قال ماذا.

والإرسال والإدلاس هو أمر طبيعي في نقل القصص والروايات ولكن أحاديث الرسول عليه السلام ليست كباقي القصص والروايات. وعندما بدأ علم الجرح والتعديل (بعد عشرات السنين من وفاة الأعمش وإبراهيم) فقد تم وضع إشارات على الإرسال والإدلاس. ولهذا السبب فالإرسال والإدلاس لا يجرحان الراوي ولا يؤثران في عدالته ولكنهما قد يجرحان الرواية.

ورواية أحمد هي أثبت الروايات في السند لأنه واضح في هذه الرواية أن إبراهيم لم يُرسل ولم يُدلس وإنما نقل الرواية مباشرة عن والده أما في الروايات الأخرى فإن السند هو: "عن الأعمش عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذر".

ولهذا السبب تبقى رُتبة الأعمش في الرواية.

ولهذا السبب فهناك الاحتمالان التاليان لحل التعارض بين الرواية وظاهر التاريخ:

١. رَد (رفض) هذه الرواية بذريعتين وهي أن الأعمش تم وصفه بالإدلاس وأن الرواية تُخالف ظاهر التاريخ.

٢. هناك قرائن كثيرة أن الإنسان (وهو الكائن الذكي القادر على خلق الآلات) قد ظهر على الأرض قبل ٣ ملايين سنة على الأقل. ولكن ما نعرفه عن تاريخ الحضارة البشرية هو آخر ستة آلاف سنة فقط (أي منذ ٤٠٠٠ ق.م). بمعنى آخر فإن ما نعرفه عن البشرية هو ٠.٠٠٢ فقط من تاريخها أو أقل.

ولهذا السبب فليس من المستحيل أن تكون هناك حضارة بشرية ذات ديانة وحدانية قد ظهرت قبل عشرات الآلاف من السنين وتكون قد أقامت المسجد الحرام في مكة والمسجد الأقصى في القدس ومع تقلبات الأقدار اندثر هذان المسجدان وزالت أطلالهما حتى جاء سيدنا إبراهيم وسيدنا سليمان وأعادا بناءهما.

ولكن في كلا الاحتمالين فإن غلبة الظن أن مكة كانت خلاء من أي بناء أو أطلال يوم جاءها سيدنا إبراهيم. وكذلك الحال للمسجد الأقصى قبل عهد سيدنا سليمان.

◄ المسجد الأقصى والإسراء

هناك روايات متعددة عندما أُسري بالرسول عليه السلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى أن الأنبياء قد اجتمعوا له وأنه قام بإمامتهم في الصلاة، وهناك وجهة نظر أن هذه الصلاة كانت داخل بناء.

ولكن هذه الروايات ليست موجودة في الكتب التسعة المعتمدة (صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه وسنن أبي داود وسنن الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد) وإنما موجودة في كتب أخرى وبحاجة إلى التحقيق. وقد جاءت روايات الإسراء والمعراج (ضمن بحث المؤلف) في البخاري ومسلم والترمذي وأحمد. وهناك رواية في مسلم وأحمد

عن أنس بن مالك أن الرسول قد دخل المسجد الأقصى وصلى فيه ركعتين ثم عرج إلى السماء. وهناك رواية في الترمذي وأحمد عن رأي لحذيفة بن اليمان أن الرسول لم يصل في المسجد الأقصى وإنما عرج مباشرة إلى السماء.

وفي كلتا الحالتين فلا يوجد أي نص ذي سند ثابت تم تحقيقه يدل أنه كان هناك بناء في الحرم الشريف. وعلى غلبة الظن فإن المسجد الأقصى يوم دخله عمر بن الخطاب كان ساحة كبيرة مع بعض الأعمدة المتفرقة. وهذا سيتم تفصيله لاحقا.

◄ الصخرة والمعراج

المشهور عند الناس أن الرسول عليه السلام قد عرج إلى السماء من الصخرة والتي هي موجودة الآن في داخل مسجد قبة الصخرة. وهناك روايات في كتب مختلفة أن عمر بن الخطاب يوم دخل المسجد الأقصى كان يبحث عن الصخرة التي عرج منها الرسول عليه السلام. وهذه الروايات ليست في الكتب التسعة وإنما في كتب أخرى (مثل كنز العمال) وبحاجة إلى التحقيق. وأما الرواية الوحيدة التي وجدها المؤلف في الكتب التسعة والتي تذكر الصخرة فهي رواية أحمد:

" حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب أن: عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس قال: فقال أبو سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب: أين ترى أن أصلي فقال إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك فقال عمر رضي الله عنه ضاهيت اليهودية لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس" رواه أحمد في مسند العشرة.

والرواية فيها مشكلتان في السند وهو أن أبا شعيب مجهول (ولكن هذه ليست مشكلة حقيقية حيث إن الرواية ليست مروية عن أبي شعيب وإنما عن عبيد بن آدم)، وأن أبا سنان (عيسى بن سنان) رتبته في الجرح والتعديل أنه لين الحديث وبعض المحققين ضَعَّفوه.

وعلى أية حال فإن هذه الرواية لا تذكر أبدا أن المعراج قد تم من الصخرة.

الآن..... هناك احتمالان:

أولا: أن تكون هناك روايات صحيحة عن الرسول عليه السلام وانتشر مفهومها بين الناس ولكن هذه الروايات لم يتم توثيقها ولهذا لم تصلنا مُوثقة.

ثانيا: إن غلبة ظن المسلمين أن الرسول عليه السلام قد عرج إلى السماء من الصخرة حيث إن الصخرة هي أعلى نقطة موجودة في الحرم الشريف. وقد ازداد هذا الظن ترسخا بعدما بَنى عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة.

وغلبة ظن المؤلف هو للاحتمال الثاني حيث إن وجهة نظر المؤلف أنه من الأولى عدم إقرار أي أمر غيبي إلا بوجود نص واضح وصحيح السند. وحيث إنه لا يوجد عند المؤلف أي نص واضح وصحيح السند يربط بين الصخرة والمعراج، فغلبة ظن المؤلف أن الرسول قد عرج إلى السماء من الحرم الشريف ولكن ليس بالضرورة من الصخرة.

ولكن المؤلف لا ينفي قوة الاحتمال الأول وذلك لأن النظرة التي تقول إن الرسول عليه السلام قد عرج إلى السماء من الصخرة لها شهرة كبيرة عند المسلمين ومنذ القرن الأول.

◄ **طبوغرافية المسجد الأقصى**

القدس هي هضبة والمسجد الأقصى هو في الطرف الشرقي الجنوبي من هذه الهضبة. ومن السهل جدا استنتاج طبوغرافية (تضاريس) الأرض التي يقع عليها المسجد الأقصى خصوصا إذا تم النظر إلى المسجد الأقصى من الجهة الشرقية.

وهناك ملاحظة مهمة جدا في طبوغرافية هذه الأرض وهي الملاحظة الأساس في هذه المقالة:

مسجد قبة الصخرة واقع على طرف هضبة القدس. وساحة قبة الصخرة مستوية (على التقريب) على امتداد الشمال من الصخرة وامتداد الغرب منها. ولكن الأرض تنحدر وبوضوح باتجاه الشرق من الصخرة وباتجاه الجنوب من الصخرة وباتجاه الجنوب الغربي من الصخرة.

وهنا نقطة الانتباه..... مسجد قبة الصخرة مبني على الهضبة مباشرة (أي مبني على الصخر) ولكن المسجد القِبلي هو بناء مبني على بناء.

ويبدو أن هناك شخصا ما قد قرر أن يقيم جدرانا استنادية ليرفع مستوى الأرض إلى مستوى قريب من مستوى الصخرة ثم ليقيم هناك بناءً. وهذا ليس أمرا اعتياديا وإنما هو أمر شديد الكلفة. وكما سيتم تفصيله لاحقا فإن هذا الشخص هو الإمبراطور الروماني هادريان.

◄ **النظريات الثلاثة لمكان الهيكل**

هناك ثلاث نظريات موجودة في الأدبيات الغربية عن مكان هيكل سليمان:

النظرية الأولى:

وهو أن مكان الهيكل في الساحة الخلفية شمال قبة الصخرة. وغلبة التخمين أن هذه النظرية هي ما يدعو لها بعض الجهات الغربية، حيث إنهم يظنون أن هذه الفكرة يمكن تسويقها عند العرب المعتدلين لأن معناها هو بناء الهيكل دون الحاجة لهدم المسجد القِبلي ومسجد قبة الصخرة. وهذه النظرية مستبعدة تماما كما سيتم تفصيله.

النظرية الثانية:

وهو أن هيكل سليمان هو مسجد قبة الصخرة. وهذه النظرية قد تكون مفهومة حيث إن معظم الديانات تضع معابدها الرئيسية في أعلى المنطقة، والصخرة هي أعلى نقطة في هضبة القدس. ولكن هذه النظرية مستبعدة كذلك كما سيتم تفصيله.

النظرية الثالثة:

وهو أن موقع هيكل سليمان هو بين المسجد القِبلي وبين مسجد قبة الصخرة تحت منطقة سبيل الكأس. وهذه النظرية تستند إلى شهادات مؤرخين عاصروا هيكل هيرود قبل تدميره عام ١٣٥م . وكذلك تستند على أن حائط البراق (حائط المبكى) هو السور الخارجي لهيكل هيرود كما سيتم تفصيله لاحقا (المرجع: Dolphin and Kollen).

◄ أعجوبة الصخرة وفرادتها

هناك حضارات كثيرة حكمت وسكنت القدس خلال آلاف السنين السابقات، وجميع هذه الحضارات قد تركت بصماتها في القدس. ولكن جميع هذه الحضارات لم تقم بتغيير معالم الصخرة!!!

دعونا نضع معالم مسجد قبة الصخرة:

مسجد قبة الصخرة هو بناء ثماني الأضلاع بطول ضلع مقداره ٢٠.٦ متر. وإذا وضعنا ثماني الأضلاع في دائرة فإن نصف قطر الدائرة يكون ٢٧ مترا.

في وسط البناء توجد الصخرة وهي غير منتظمة وأبعادها بالتقريب من الشمال إلى الجنوب ١٨ مترا ومن الشرق إلى الغرب ١٤ مترا وأعلى ارتفاع لها هو ١.٥ مترا عن أرضية المسجد. وتشغل الصخرة مع الدرابزين (الحاجز الخشبي) المحيط بها دائرة نصف قطرها حوالي ١٥ مترا.

أي أن الصلاة في المسجد هي في إطار عرضه حوالي ١٢ مترا وهي المساحة بين الدائرة الأولي والدائرة الثانية.

وفي الجزء الجنوبي من الصخرة توجد مغارة ينزل إليها الناس بِدَرَج. والمغارة مربعة الشكل تقريبا بطول وعرض مقداره حوالي ٤.٥ مترا وارتفاع حوالي ٣ مترا. وفي أعلى المغارة فتحة (ثغرة) اتساعها متر على سطح الصخرة نفسها.

وليس من السهل على القارئ أن يدرك غرابة المكان إلا إذا زاره، وحتى الصور المتوفرة عن الصخرة غير كافية لشرح غرابة المكان.

وهذه الصخرة لم يتغير شكلها، وجميع الحضارات التي تعاقبت على القدس من كنعانيين وهكسوس ومصريين ويهود وكلدانيين وفرس ويونان ورومان ومسلمين قد تركوها كما هي دون نحت أو نقش أو بناء أو تغيير.

لماذا؟؟؟

غلبة تخمين المؤلف أن السبب هو في غرابة التشكيل: ففي أعلى الهضبة توجد صخرة وفي هذه الصخرة توجد مغارة وفي هذه المغارة توجد فتحة. وهذا تشكيل غريب في تضاريس الأرض ومن المنطقي التخمين أن جميع الحضارات المتعاقبة قد فضلت الإبقاء على هذا التشكيل كما هو.

انتبه أن الساحة المحيطة بمسجد قبة الصخرة مستوية تماما. وهذا الاستواء جاء بقوة المطرقة والإزميل على مر العصور وتعاقب الحضارات. وأما الصخرة نفسها فهي هي لم يتغير شكلها منذ أن شكلتها الطبيعة قبل ملايين السنين. وحتى عندما تَحَوَّل الحرم الشريف إلى ساحة عامة في العهد البيزنطي فإن المجتمع لم يسمح لأحد أن يقوم بتشويه الصخرة أو النقش عليها.

◄ قصة المسجد الأقصى

بعد توضيح النقاط السابقة فإنه من الممكن وضع نموذج تاريخي لقصة المسجد الأقصى:

أخذ داود عليه السلام مدينة القدس (وكان اسمها ذلك الوقت أورسالم) واتخذها عاصمة لمملكته في حوالي ١٠٠٠ ق.م. وكانت المدينة تقع إلى الجنوب من هضبة القدس.

وقام ابنه سليمان عليه السلام ببناء المسجد الأقصى (الهيكل) في شمال المدينة حوالي عام ٩٥٠ ق.م. وكان الهيكل يقع مباشرة إلى الجنوب من الصخرة تحت سبيل الكأس حاليا.

قام الكلدانيون بقيادة نبوخذ نصر باحتلال القدس وتدمير الهيكل عام ٥٨٧ ق.م. وتم سبي ٧٠ ألفا من يهود القدس إلى بابل.

الآن..... لم يتم نفي أو تشريد جميع اليهود إلى أقطار الأرض وقتها وإنما بقي اليهود في فلسطين والقدس. وكذلك فقد تم تدمير هيكل سليمان ولكن بقيت آثاره وأطلاله موجودة. ومن المنطق الاستنتاج أن اليهود قد أقاموا بناء متواضعا (وربما خشبيا) مكان الهيكل كي يقيموا فيه شعائرهم وعلى غلبة التخمين فإن هذا البناء المتواضع قد تم تحسينه بعد رجوع الكثير من سبي بابل إلى فلسطين وسيطرة الفرس على المنطقة وذلك بعد سبعين سنة من دمار الهيكل.

وغلبة الظن أن الآية القرآنية التالية تتحدث عن هذه الفترة:

"أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (٢٥٩ – البقرة).

وفي عام ٤٠ ق.م وضع الرومان هيرود الأول (Herod the Great) ملكا على فلسطين. ولم تكن عائلة هيرود من بني إسرائيل وإنما اعتنقت هذه العائلة الديانة اليهودية منذ أجيال قليلة قبل ذلك الوقت. وهذا ما جعل شرعية هيرود كملك تبقى مهزوزة في وجدان المملكة. وكطريقة لوضع المصداقية لنفسه فقد قرر هيرود عام ١٩ ق.م أن يقوم بتجديد هيكل سليمان بشكل فاخر ومهيب. وكان هذا التجديد للهيكل هو ما تم تسميته لاحقا بالهيكل الثاني أو هيكل هيرود. وفي عام ٦ ميلادية قامت روما بوضع فلسطين تحت السيطرة المباشرة لها وألحقتها بولاية سوريا.

وفي عام ٦٦ ميلادية قامت ثورة يهودية طردت الرومان من فلسطين. ولكن بعد نجاح الثورة قامت صراعات ضخمة بين الأحزاب والقوى اليهودية المختلفة وقامت حرب الاغتيالات بينهم. وأثناء ذلك كان الرومان يعدون العدة لاسترجاع فلسطين. وحاصر الرومان القدس عام ٧٠ ميلادية واقتحموها وقاموا بتدمير هيكل هيرود. وقاموا كذلك بمعاقبة ونفي الكثير من اليهود إلى أنحاء الإمبراطورية وهذا ما تم تسميته لاحقا بالشتات الأول.

ولكن هيكل هيرود لم يتدمر بالكامل كما بقي الكثير من اليهود في القدس وفلسطين. وبعد أن هدأت الأمور تم إعادة بناء هيكل هيرود وبشكل متواضع من أجل إقامة الشعائر اليهودية.

وفي عام ١٣٢ ميلادية قامت ثورة يهودية أخرى واستطاعت إخراج الرومان من فلسطين. وقام الإمبراطور الروماني هادريان (Hadrian) بتجهيز جيش جمعه من مختلف أنحاء الإمبراطورية واستطاع الوصول إلى القدس واسترجاعها عام ١٣٥ ميلادية. وقام الرومان بعمل مذبحة ضخمة لليهود. وأما من بقي حيا منهم فقد تم نفيه خارج فلسطين (وهذا ما تم تسميته لاحقا بالشتات الثاني). وقرر هادريان نسف المدينة بالكامل (وهي التي كانت تقع إلى الجنوب من الهضبة) وخلق مدينة جديدة إلى الغرب من الهضبة (وهي مدينة القدس الحالية) وتم تسمية المدينة الجديدة بإيلياء نسبة إلى الاسم الوسط لهادريان (بليوس إيليوس هادريانوس). وقرر هادريان أن يزيل معالم الهيكل بشكل كامل كي لا يكون لليهود أي ذريعة قط في هذا المكان وقرر أن يبني مكان الهيكل معبدا لجوبتير (وهو الإله الرئيس عند الرومان).

والدافع الإستراتيجي لهادريان كان واضحا ولكنه قام باستثناء صغير لهذه الإستراتيجية وذلك بسبب الكسل. فقد قام المهندسون الرومان بإزالة هيكل

هيرود تماما ولكنهم استكسلوا إزالة السور الغربي الخارجي للهيكل لضخامته فأبقوا عليه ومدوه. وهذا السور هو الأثر الوحيد الموجود لهيكل هيرود. وقام الرومان بعمل جدران استنادية ممتدة إلى مسافة أبعد من هيكل هيرود جنوبا. ثم ردموا المنطقة بأكملها. وهذا قد رفع مستوى الأرض إلى مستوى قريب من مستوي الهضبة. وقاموا كذلك بتسوية الهضبة تماما (إلا الصخرة). وبعد ردم المكان ورفع مستوى المنطقة الجنوبية وتسوية الساحات قاموا بإنشاء معبد جوبتير والذي يمتد من الصخرة شمالا إلى أقصى الساحة الجنوبية.

وقام هادريان بتحريم دخول اليهود إلى فلسطين قاطبة. ولكن الأباطرة الرومان اللاحقين قد سمحوا لليهود بزيارة القدس مرة واحدة في السنة للبكاء على دمار هيكلهم. ومن هنا جاءت طقوس البكاء على الجدار الغربي من المسجد الأقصى.

الآن ..... هناك إشارات تدل أن معبد جوبتير في القدس كان مشابها لمعبد جوبتير في بعلبك، وهذه نقطة سيتم نقاشها لاحقا.

وفي عام ٣١٢ ميلادية اعتنق الإمبراطور قسطنطين (Constantine the Great) المسيحية، وأصبحت الديانة المسيحية في عهده هي الديانة الرسمية للإمبراطورية. وفي عهده بدأ إنشاء كنيسة القيامة والتي أصبحت المركز الديني الرئيسي للمدينة عوضا عن معبد جوبيتير. وفي أواخر عهده (٣٣٧ ميلادية) بدأت بوادر إنهاء الوثنية وإهمال معابدها. ومنذ عام ٣٨١ ميلادية بدأت حملة رسمية وشعبية لإنهاء الوثنية في البلاد وتجريم طقوسها وتخريب معابدها.

الآن.... هناك الكثير من المعابد الوثنية الرومانية والتي ما زالت قائمة دون تدمير كامل، منها معبد جوبيتير في بعلبك والذي بدأ بناؤه عام ٢٧ ق.م. ولكن بعلبك لم تكن عاصمة في المنطقة، وأما القدس فقد أصبحت عاصمة دينية

رئيسية للعالم المسيحي. وهذا أدى إلى ظهور حركة عمرانية ضخمة وسريعة في القدس كي تتسع لزوارها وحُجَّاجها. ولهذا السبب فلم يتعرض معبد جوبيتير للتخريب فقط وإنما تم استغلال الحجارة والأعمدة فيه كمصدر من مصادر إعمار القدس.

وهذا الاستنتاج منطقي فعندما قام الفاطميون ببناء القاهرة وكان مكانها قريبا من أهرامات الجيزة فقد بدأ الناس ينزعون الكساء الخارجي من الأهرامات ليستخدموها في بناء المنازل والمساجد. وفي المقابل فإن الهرم المائل (هرم سنفرو)، والذي هو أقدم من أهرامات الجيزة، ما زال محتفظا بكساءه وذلك لبُعد مناطق العمران عنه.

وبعد عشرات السنين فإن معبد جوبيتير في القدس قد أصبح ساحة عامة للناس مع بعض الأطلال والأعمدة الرومانية هنا وهناك.

وفي عام ١٦ هجرية (٦٣٧ ميلادية) فتح المسلمون القدس بقيادة عمر بن الخطاب. وقام بالصلاة هو والمسلمون في الحرم الشريف. والظاهر أن أول مسجد للمسلمين في الحرم الشريف كان مبنيا من خشب والدليل على ذلك هو شهادة لآركولف (Arculf) أحد الأساقفة الفرنسيين في زيارة له إلى القدس في خلافة معاوية أن المسلمين قد أقاموا هيكلا خشبيا يتسع لثلاثة آلاف مصلٍّ. وهناك رأي أن هذا المسجد كان في الساحة الجنوبية الشرقية من الحرم الشريف فوق المسجد المرواني. وأن سقف هذا المسجد كان "أشبه ما يكون بجمالون [Truss] رفعت دعاماته الخشبية المصفحة بالرصاص على فتحات ما زالت قائمة ثقبت في أعلى العقود الحاملة لأروقة المسجد المرواني فثبتت عليها وربطت مع بعضها البعض برباط من مركزها فأصبحت سقفا على هيئة جمالون" (المرجع: غوشة).

وفي عام ٦٤ هجرية بويع لعبد الله بن الزبير خليفة للمسلمين. وتبعته الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس وباقي بلاد المسلمين إلا الشام والتي كانت تحت قيادة مروان بن الحكم. ومات مروان بن الحكم في السنة التالية (٦٥ هجرية) وأخذ الحكم بعده ابنه عبد الملك. وفي ٦٦ هجرية بدأ عبد الملك بن مروان ببناء قبة مسجد الصخرة وتم الانتهاء من بنائها عام ٧٢ هجرية. وقام عبد الملك بالسيطرة على الحجاز وأخذ الخلافة لنفسه عام ٧٣ هجرية.

وهناك شبهة سياسية واضحة لما قام به عبد الملك بن مروان. فمكة المكرمة والمدينة المنورة هي في يد خصمه الخليفة الشرعي عبد الله بن الزبير. وكان في يده الحرم الثالث (الحرم الشريف) فكان من الطبيعي أن يفكر بتشييد عمل معماري مهيب وفخم يشجع الناس للحج إلى القدس ويخفف من ذهابهم باستمرار إلى الحجاز.

وهذه ليست أول مرة وليست الأخيرة التي يتم فيها استخدام العمارة لأغراض سياسية. فالفراعنة قاموا برفع تماثيل ضخمة لهم في كافة أنحاء المملكة كي يفرضوا على الناس الهيبة. وقام الرومان بعمل المنشآت الضخمة من محاكم ومسارح ومدرجات وجسور وطرق كي يزيدوا من ولاء الولايات نحو روما والإمبراطورية. وتفوقت أمريكا على جميع الحضارات التي سبقتها في ضخامة البناء، وكان هدفها هو تقوية الوحدة الوطنية في أمريكا ومحاولة إثبات التفوق والسيادة الأمريكية على العالم.

ولكن المهندسين والبنائين الذين قاموا بإنشاء قبة الصخرة كان لهم (على غلبة تخمين المؤلف) دافع آخر. فالقدس هي العاصمة الدينية الثالثة للمسلمين ومع هذا فإن أهم وأجمل وأهيب بناء موجود في القدس وقتها كان كنيسة

القيامة. ومن الغريزي وهذه الحالة أن يأتي الدافع لعمل بناء يقوم بالتعبير عن قوة المسلمين ويكون أكثر العمارات رونقا وجمالا في المدينة.

وكان من الطبيعي اختيار مكان الصخرة لتشييد أول بناء في الحرم، إذ إن الصخرة هي أعلى نقطة في هضبة القدس، وبالتالي فأي بناء هناك سيراه الناس من على مسافة أميال.

وبالطبع يجب أن نذكر أن هناك فكرة انتشرت عند المسلمين وقتها أن الصخرة هي مكان عروج الرسول نحو السماء. وهذه الفكرة جاءت إما لوجود أخبار صحيحة عن الرسول ولكنها لم تصلنا موثقة، وإما لأن المسلمين وقتها وجدوا الصخرة أعلى نقطة في الحرم فظنوا أنها هي مكان العروج.

أيا كان الأمر فإن مسجد قبة الصخرة بعد الانتهاء منه قد ظهر آية في الجمال وجوهرة في المكان وحدثا بارزا تناقلته ألسن الناس عبر الزمان.

وبالنسبة إلى المسجد القِبلي فيبدو أن بناءه قد بدأ في عهد عبد الملك بن مروان وتم في عهد الوليد بن عبد الملك عام ٨٥ هجرية.

الآن ..... هناك ملاحظة مهمة يجب ذكرها:

تصميم المسجد القبلي ومسجد قبة الصخرة الداخلي والخارجي هو بلا شك تصميم إسلامي. ولكن الشكل العام والأحجام والمسافات والمحاور هو تصميم روماني. وأفضل إشارة على ذلك هو تشابه معبد جوبيتير في بعلبك في الشكل العام والمحاور مع مسجد قبة الصخرة والمسجد القبلي.

وإذا أَرَدت التأكد فما عليك إلا أن تبحث عن معبد بعلبك في الإنترنت (Baalbek Temple) وتنتبه أن المعبد يتكون من مدخل (Grand Entrance) يتبعه بناء سداسي (Hexagonal Court) ثم ساحة ضخمة (Great Courtyard) يتبعها المعبد الرئيسي (Temple of Jupiter).

وهناك ادعاء لم يتحقق منه المؤلف لكنه مثير للانتباه وهو أن المسافة بين مسجد قبة الصخرة (البناء الثماني الأضلاع) والمسجد القبلي تساوي المسافة بين البناء السداسي ومعبد جوبيتير في بعلبك وأن مخطط معبد بعلبك يكاد يتطابق مع مخطط مسجد الصخرة والمسجد القبلي (المرجع: Dolphin and Kollen).

وهذا أمر لا يجب أن يكون مستغربا فإنه من المنطقي أن يكون قد بقي أطلال وأعمدة من الحقبة الرومانية وقام المسلمون ببناء المسجدين على هذه الأطلال.

وتم تطوير الحرم الشريف بما فيه من بناء وساحات عبر العصور الإسلامية المختلفة حتى وقتنا الحاضر.

الفصل الثالث عشر
القوة الإسلامية الصاعدة والشرعية الدولية

إن قناعة المؤلف كاملة أن سيدنا سليمان قد سجد لله في مكان ما في المسجد الأقصى. وكذلك فعل إخوة الرسول عليه السلام من أنبياء الله الكرام من بني إسرائيل. ومن المسجد الأقصى عرج الرسول عليه السلام إلى السماء. وهي أرضنا نحن المسلمين، وليس القدس فقط أرضنا وإنما فلسطين كلها أرضنا ساحلها الغربي قبل ساحلها الشرقي، ويافا وعكا قبل القدس والخليل. وهذا دافع كاف وعذر واف للمسلمين. وغير ذلك أمر يتم النظر فيه وقت حدوثه.

وهناك من يَحْذَر مناقشة العلاقة بين هيكل سليمان والمسجد الأقصى خوف أن يستخدمها اليهود ذريعة إضافية لتبرير وجودهم في القدس وحجة إضافية لإثبات حقهم في المسجد الأقصى. ولكن يجب أن ينتبه القارئ أن القوي ليس بحاجة لذريعة أو حجة. فالقوي يَخْلق الحجة والذريعة وقت الحاجة. وأما الذي بحاجة لعذر وذريعة فهو الضعيف.

إن أي مشروع دولي بحاجة إلى ثلاثة عناصر رئيسية: الدافع، والعذر الداخلي، والقوة. وأما العذر الخارجي فهو أمر يتم تصنيعه وقت الحاجة.

وعندما قررت إنجلترا سرقة فلسطين وإعطائها لليهود فإن الدافع لذلك كان فصل بلاد الشام عن مصر. وأما العذر الداخلي فقد رتبت له إنجلترا خلال الستين سنة السابقة وذلك بتضخيم نبوءة يوحنا والتي تقول إن المسيح كي يرجع فلا بد أن يكون اليهود في فلسطين. وكان هذا العذر كافيا لشعب إنجلترا وأوروبا. وأما العذر الخارجي فلم تأبه إنجلترا لخلقه وإنما كان العذر الخارجي هو القوة.

دعونا نقلب الآية قليلا.... لنفترض جدلا أن دولة الخلافة قد قامت بإعطاء وعد بلفور الثاني للغَجَرِ والذي يقول إن دولة الخلافة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي مستقل للغجر في شمال إنجلترا.

هناك مشكلة حقيقية في هذا الوعد وهو العذر الداخلي: فالخلافة يجب أن تقوم بتقديم العذر الكافي لمواطني وموظفي دولة الخلافة يُبرر وبشكل ذي مصداقية ومشروعية وأخلاقية تقديم المال والجهد والطاقة لتحقيق هذا الوعد.

دعونا نقوم بتحسين المثال السابق: لنفترض أن دولة الخلافة قد قامت بإعطاء وعد بلفور الثالث لأهل فلسطين والذي يقول إن دولة الخلافة تَتَفَهَّم المآسي والمصائب التي أَلَمَّت بأهل فلسطين وقت الاحتلال الإنجليزي والإسرائيلي، وتعويضا لهم عن هذه المصائب والمآسي فإن دولة الخلافة تنظر بعين العطف لإقامة ولاية في جنوب إنجلترا تكون تابعة لفلسطين.

قد يكون هناك القدرة لخلق عذر داخلي كاف للوعد الثالث ولكن تبقى هناك مشكلة رئيسية في الوعد الثاني والوعد الثالث وهو القوة. بمعنى أنه إذا لم تكن قوة الخلافة طاغية لقوة إنجلترا فلا يوجد أي معنى لوجود هذه الوعود مهما كثرت ومهما تعددت ومهما كانت بلاغتها.

هذه هي النقطة.... فالدافع ضروري لأنه هو الذي يحدد اتجاه الإستراتيجية، والعذر الداخلي ضروري لأنه هو الذي يقوم بتبرير صرف المال والجهد والطاقة في سبيل تحقيق المشروع، ولكن القوة ليست ضرورية فقط بل هي الأساسية ومن غيرها فلا يوجد أي مشروع من أساسه.

ولهذا السبب فمهما استطاع الهنود الحمر أن يقدموا الحجج والبراهين أنهم أصحاب الأرض الحقيقيين في أمريكا فإن هذه الحجج والبراهين لا قيمة سياسية لها ما لم تكن مؤيدة بقوة طاغية.

وهنا النقطة..... وعد بلفور الأول ما كان يمكن أن يتحقق لولا قوة إنجلترا الطاغية وقتها. ولو كانت عند أهل فلسطين القوة أو كان المسلمون متكاتفين وقتها لما استطاعت إنجلترا أن تحتل فلسطين ولما استطاعت إنجلترا أن تخلق وطنا لليهود في فلسطين.

وهذا هو القانون الكوني الذي لم يتغير ولن يتغير عبر تاريخ البشرية: القوي هو الذي يُحدد الشرعية الدولية وهو الذي يُقرر القانون وهو الذي يكتب التاريخ. ويبقى القوي مُحتفظا بهذه الامتيازات حتى يأتي قوي آخر جديد يقضي عليه. وعندها فإن القوي الجديد سيقوم بتعديل الشرعية الدولية لتلائمه،وتعديل القانون لمصلحته، وإعادة كتابة التاريخ لوجهة نظره.

وهناك ملاحظة أخرى وهي أن القوي الذي لا مصداقية له ستجده يقوم بتعديل الشرعية الدولية كيفما يحلو له وقتما يحلو له وبالشكل الذي يُريده. ولكن ما أن يبدأ مركز القوي بالتخلخل حتى تجده من أكثر الناس تقيدا ومحافظة على الشرعية الدولية لأنها أداته أمام الآخرين. وأفضل مثال على ذلك هو أوروبا في القرن الماضي (القرن العشرين) وأمريكا الآن (٢٠٠٦ وما بعدها). وأحد أفضل الأمثلة هو اتحاد العالم الغربي الآن على انتقاد الخطط الاستيطانية لإسرائيل في فلسطين الشرقية وهو انتقاد لم يكن ليحدث في القرن الماضي.

هذه هي النقطة..... أعذار وحجج بلا قوة هي أعذار وحجج لا معنى لها.

والقوة الإسلامية بعد ٢٠٠٦ هي في صعود إلى صعود. والقوة الإسرائيلية هي في نزول إلى نزول، فانضباطهم يضعف وإرادتهم تتلاشى وتحالفاتهم مع الآخرين ينهار، وكل حماقة لهم تجذبهم مسافة أقرب نحو الزوال.

ولهذا كله فإن المؤلف لا يجد أي غضاضة ببحث علاقة هيكل سليمان والمسجد الأقصى. فأي علاقة تظهر فهي لن تفيد إسرائيل الآن بأي شيء.

ولكن إذا لزم الأمر فإن هناك عذرا خارجيا ذا مصداقية كافية يستطيع القارئ أن يستخدمه إذا أراد.... فمعظم ما ورد في هذا الكتاب هو ترجيحات وتخمينات واستنتاجات، وهي وجهة نظر المؤلف ولا تُمثل بالضرورة أي جماعة أو دولة أو أمة. وهذا العذر له مصداقية حقيقية فليس كل ما ورد في هذا الكتاب صحيحا وبالتالي فالعلاقة التي تم ذكرها بين هيكل سليمان والمسجد الأقصى ليست يقينية وإنما تخمينية وترجيحية للمؤلف.

وهذه هي النقطة الأخيرة في هذه المقالة..... أي مشروع دولي بحاجة إلى ثلاثة عناصر: الدافع، والعذر الداخلي، والقوة. وأما العذر الخارجي فيتم تصنيعه (بذكاء ومصداقية وأخلاقية أو بحماقة واستهتار وظلم) وقت الحاجة.

الخاتمة

العالم الإسلامي في صعود مستمر، والعالم الغربي في ضعف مستمر، وإسرائيل (وهي الجسم الغريب في العالم الإسلامي) في حماقات مستمرة.

وضمن جميع السوابق التاريخية والاستنتاجات المنطقية فإن النتيجة الحتمية لما سبق هو زوال هذا الجسم الغريب.

المراجع

◄ مؤلفات عربية

بسام العسلي، الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية، لبنان:دار النفائس.

بيتر رايت، صائد الجواسيس، ترجمة هيثم علي حجازي، مراجعة سمير عزت نصار(١٩٨٩) عمَّان: الأهلية للنشر والتوزيع

ثابت عبد الحليم الخواجا، حتمية زوال دولة بني إسرائيل (١٩٩٥)، لبنان:دار البيارق.

ثابت عبد الحليم الخواجا، حتمية زوال دولة بني إسرائيل (٢٠٠٥)، كتاب إلكتروني

غوشة (د.محمد هاشم غوشة)، المسجد الأقصى المبارك (٢٠٠٩)، القدس: مطبعة أدكيدك الحديثة.

محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، (١٩٩١)، ط٧، بيروت: المكتب الإسلامي.

◄ برامج بحث

القرآن الكريم مع التفسير. (الاصدار الخامس) http://www.islamspirit.com

مشروع المحدّث – محرّك البحث: http://www.muhaddith.org/cgi-bin/a_Optns.exe

موسوعة الحديث الشريف. (الاصدار الأول) صخر لبرامج الحاسب.

موسوعة رواة الحديث. (الاصدار الثاني) مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.

◄ مراجع إنترنت عربية

أبو بدر، حصون خيبر، منتدى الديس الشرقية، [وضع أبو بدر وهو عضو في هذا المنتدى حصون خيبر في خارطتين كما وضع صورا لبعض هذه الحصون مما جعل جهده متميزا]
http://www.aldees.net/forum/showthread.php?p=166464

الجزيرة نت، وعد بلفور،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/414F695F-107F-4A22-8707-A0699AF97B23.htm

جريدة الخليج،٢٠١١/١١/١٩، كيسنجر: اليهود الأمريكيون لقطاء وأنانيون
http://www.alkhaleej.ae/portal/566093f4-16c8-4986-898f-2b352cd707c8.aspx

الحلبي (علي بن برهان الدين الحلبي)، السيرة الحلبية، غزوة خيبر
http://ar.wikisource.org/wiki/

عمارة (محمد عمارة)، اغتصاب فلسطين وأسطورة عودة المسيح، جريدة الوفد، ٥ سبتمبر ٢٠١١، http://www.alwafd.org/

الشرق الأوسط، ١٢ نوفمبر ٢٠٠٩، رئيس الموساد الإسرائيلي الأسبق: كنت أصلّي حتى ينجو مشعل من الموت
http://aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=11307&article=543988

كنز العمال، الحديث رقم ٣١٨٦٧ ، المكتبة الإلكترونية لجامعة محمد بن سعود الإسلامية،
http://www.imamu.edu.sa/DContent/BOOKS/arabic_ibook14/part2/Page_1929.htm

المسيري (عبد الوهاب المسيري)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، صندوق استكشاف فلسطين، المجلد السادس، الجزء الثاني، الباب الرابع،
http://www.elmessiri.com/encyclopedia/JEWISH/ENCYCLOPID/MG6/GZ2/BA04/MD02.HTM

المسيري (عبد الوهاب المسيري)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الماسونية واليهودية، المجلد الخامس، الجزء الثالث، الباب الحادي عشر،
http://www.elmessiri.com/encyclopedia/JEWISH/ENCYCLOPID/MG5/GZ3/BA11/MD03/M0297.HTM

ويكيبيديا، المسجد الأقصى/http://ar.wikipedia.org/wiki

◄ مراجع إنترنت غربية

AndrewCollins, Timeline, http://www.andrewcollins.com/page/articles/timeline.htm

Daily Mail, ١٨th November 2011, Nixon adviser Henry Kissinger branded Jewish as self-serving 'b*******', new documents reveal, http://www.dailymail.co.uk/news/article-2063191/Nixon-adviser-Kissinger-branded-Jewish-self-serving-b-----new-documents-reveal.html?ito=feeds-newsxml

CNN, 14 Oct 2002, Amid conflict, Samaritans keep unique identity, http://edition.cnn.com/2002/WORLD/meast/10/08/samaritans/

Deseret News, 10 Oct 1996, KING HUSSEIN GAVE NETANYAHU A ROYAL CHEWING OUT, http://www.deseretnews.com/article/518345/KING-HUSSEIN-GAVE-NETANYAHU-A-ROYAL-CHEWING-OUT.html

Dolphin and Kollen (Lambert Dolphin and Michael Kollen), On The Location of the First and Second Temples in Jerusalem, http://www.templemount.org/theories.html

Duke (David Duke), Youtube Clip, DR. david duke Shoe Bombers, crotch bombers, 9 11 and Israel (9:58 minutes) uploaded by AchIchBinsHalt on 21 Feb 2010, http://www.youtube.com/watch?v=m8UXLVI84Rw

MSNBC, 19 Mar 2004, Israeli PM, Jordan's king hold secret meetings, http://www.msnbc.msn.com/id/4559261/ns/world_news/t/israeli-pm-jordans-king-hold-secret-meetings/#.TsEXIFYnSK8

Sagiv (Tuvia Sagiv), The Temples of Mount Moriah, http://www.templemount.org/mtmoriah.html

Wikipedia (A), List of countries by past and future GDP (nominal), http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_past_and_future_GDP_(nominal)

Wikipedia (B), National Debt by U.S. Presidential Terms, http://en.wikipedia.org/wiki/National_debt_by_U.S._presidential_terms

Wikipedia (Antisemitism), History of antisemitism in the United States,

http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_antisemitism_in_the_United_States
Wikipedia (CHC), Charles Henry Churchill, http://en.wikipedia.org/wiki/Charles_Henry_Churchill
Wikipedia, Christian Restorationism**,** http://en.wikipedia.org/wiki/Christian_Restorationism
Wikipedia, Christian Zionism**,** http://en.wikipedia.org/wiki/Christian_Zionism
Wikipedia, Constantine I turn against Paganism**,** http://en.wikipedia.org/wiki/Constantine_I_turn_against_Paganism
Wikipedia, Decline of Greco-Roman polytheism, http://en.wikipedia.org/wiki/Decline_of_Greco-Roman_polytheism
Wikipedia, Foundation Stone, http://en.wikipedia.org/wiki/Foundation_Stone
Wikipedia (HJE), History of the Jews in England, http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_the_Jews_in_England
Wikipedia, Jewish Emancipation**,** http://en.wikipedia.org/wiki/Jewish_emancipation
Wikipedia (KKK**)**, Ku Klux Klan, http://en.wikipedia.org/wiki/Ku_Klux_Klan
Wikipedia, Samaritan**,** en.wikipedia.org/wiki/Samaritan
Wikipedia, Solomon' Stables, http://en.wikipedia.org/wiki/Solomon'_Stables
Wikipedia, Western Wall, http://en.wikipedia.org/wiki/Western_Wall
Wikipedia, United States Public Debt, http://en.wikipedia.org/wiki/United_States_public_debt
Wikipedia (O11**)**, General Order No. 11, http://en.wikipedia.org/wiki/General_Order_No._11_(1862)

◄ مؤلفات سابقة للمؤلف

عمر محمد، نموذج أنماط الإبداع: الأسرار في الإبداع – الفصل الثالث، (٢٠١٢)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

عمر محمد، الأسرار في الإبداع: الإبداع والعبقرية ليستا بحاجة إلى ذكاء خارق، وإنَّما بحاجة فقط إلى صبرٍ في التَّفكير (٢٠١٢)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

عمر محمد، العبرة الكبرى: النقمة التي تحل على أي شعب (أو أُمَّةٍ بِمَنْ فيهم العرب والمسلمين) يَرَوْنَ أنفسهم أنهم أفضل الشعوب وأذكى الشعوب وأشرف الشعوب وأَنَّ الكون كله يدور حولهم وأنه يحق لهم ما لا يحق لغيرهم (٢٠١٢)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

عمر محمد، النهضة والذكاء الجماعي: أفكار منهجية في البحث والتحليل والإدارة تتعلق بالصفات الأساسية لنهضة الأمم (٢٠١٢) مصر: مكتبة الآداب.

عمر محمد، سياسات الأمم ولعبة الأقدار: نظرات منهجية في العمل الإستراتيجي والتحليل السياسي يتضمن وصفا للقوى الديناميكية في إيران وتركيا وحزب الله وإنجلترا وأمريكا. كما يتضمن ملحقا إضافيا عن انتفاضات تونس ومصر (٢٠١١) مصر: دار الفكر العربي.

عمر محمد، بذور الهلاك: التربية التي زرعت فينا منذ ١٣٧٩ سنة (٢٠٠٠) لبنان: دار البيارق.

عمر محمد، فلسفات الحكم والدستور (١٩٩٩) لبنان: دار النهضة الإسلامية.

ملاحظة: بعض الكتب السابقة يمكن تنزيلها بصيغة الـ pdf من العنوان التالي:
omr-mhmd.yolasite.com